د. فرج عبد العزيز نجم



مصراتة .. ياسُرّة الوطن

M&H

وزارة الثقافة والمجتمع المدني

M&H

مصراتة ..
ياسُرّة الوطن

د. فرج عبد العزيز نجم

M&H

مصراتة ..
ياسُرّة الوطن



لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل الإلكترونية أو الميكانيكية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو التسجيل على أشرطة أو اسطوانات أو سواها، وحفظ المعلومات أو نشرها دون إذن خطي من الناشر.

حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس

محفوظة للناشر



M&H

طبعة جديدة 2013

رقم الإيداع: (2013/178)

رقم الردمك: ISBN: 978 - 9959 - 25 - 753- 6

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب

دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

هاتف: 9090509 - 9096379 - 9097074

بريد مصور: 9097073

البريد الالكتروني: nat-lib-libya@hotmail.com

M&H

مصراتة .. يا سُــــرّة الوطـــن

بلد الحسب .. النسب .. التجارة .. الهجرة .. التصوف .. الجهاد ..

بقلم

الدكتور فرج عبد العزيز نجم

M&H



تمهيد

كنت ولازلت أهيم في حب هذا الوطن .. لا لشيء إلا للوطن .. وسيبقى هواي هو الوطن .. ما حييت .. حتى أن حب هذا الوطن قد حرمني تذوق شهوات الحب وملذات الحياة.

جميلة كانت الكلمات الرقيقة للشاعر خالد المغربي عن الوطن :

حين أشعر بالوطن، تجبُن الجراح، وينتحر الألم،
الشعور بالوطن، خروج من سجنه ...
أغتسلُ كل صبح باسمه، لتتضح ملامحي ...
أُشرق بالوطن، وعبر أفق ترابه، أبدو واضحا للجميع ...
يا وطن،
يا وليد العمق، الكامن فينا ...
يا أغلى وطن.

يا أغلى وطن سبق وأن التقيت بالصديق الدكتور محمد المفتي الذي بكتاباته أجّج في جذوة حب هذا الوطن .. وزاد سعيره .. وكذلك هكذا منمقات تجاوزت بي كل حدود هذا الوطن .. فارتأيت لنفسي بعيداً عن السياسة، ومشاجبها، أن أتغنى للوطن بالبوح بعشق الوطن، ولكن بإعطاء صورة للآخر عما يعنيه الوطن لي ولهم .. فجاءت الفكرة رداً على من أراد بهذا الوطن سوءً .. سواء بتمزيقه سياسياً أو بإذلاله اقتصادياً أو حرمان الشركاء الشرفاء الفرصة في بناء الوطن أو إنكار هوية هذه الوطن عنهم.

ولكي نستشعر عظمة وروعة هذا الوطن ينبغي لنا أن نقف إعتزازاً أمام مكوناته .. فكل ما تفسحت في زواياه الأربع المتباعدة كلما زدت عشقاً وولعاً به .. أذكر أننا زرنا جبل نفوسة في الربيع، وكيف رأينا أهلنا الأمازيغ عليه شوامخ، كما هي « الأدرار »، بلطفهم وكرمهم وهمتهم.

فقررت زيارة مصراتة .. وعقدت العزم .. وبحثت عن رِفقة .. فوجدتها في الصديق المفتي .. الذي أصول أجداده ترجع إلى يدّر .. فأبدى استعداداً – على مضض – في بادئ الأمر، لإساءة لحقته حين أُلغيت محاضرة كانت مقررة له في جامعة مصراتة .. ممن هم محسوبين على مصراتة، وتمعنوا في الإساءة إليها، وإلى أهلها بذلك التطاول .. ولكن كانت العشيرة الثقافية على الطريقة المصراتية بالمرصاد، لرد الاعتبار، فبسرعة البرق بعد لقاء الأستاذان، مصطفى الهاشمي ومحمد مليطان، في لقاء ودي جمعنا أثناء زيارة للسلام والتحية للجنة الثقافية بجامعة مصراتة، التقينا فيها كذلك د. طاهر بن طاهر والأستاذة آمال عامر، استطاعا ترتيب محاضرة للمفتي وللعبد الله، والتأم الشمل، فافتتح رفيقنا الأستاذ حبيب، وبلغة شاعرية تجلى فيها عمقه الأدبي وحسه التاريخي، برنامج الأمسية بديباجة عن "العقيدة التاريخية» .. التي استحكمتني ولم تتركني للساعة .. ثم تسامرنا فيها لسويعات مع نخبة من أهل الثقافة والإعلام تقدمهم الأستاذ عبد الهادي الفيتوري (عميد الصحفيين في مصراتة) والشيخ أحمد جهان، والشيخ أحمد نصر، وأستاذة كبار كيوسف الغزال ومحمد السباعي ومحمود املوده وعلي رشدان وعلي كشوده ود.عبد الوهاب عبد العالي.. وغيرهم من الأفاضل، فتحدثنا عن الوطن وأشجان أهله، وتاريخ معارفه، ولكن الأهم أن مصراتة بنخبها وأهلها فتحت ذراعيها مرحبة.



حبيب لامين ومحمد المفتي

فؤادي بغى مصراتة لجمالها	فهام بذكراها وذكر خصالها
لها وجه أرض مثل شمس مضيئة	عليه جمال من بياض رمالها
وزيتونها و النخل فوق جبينها	كرأس فتاة في زمان إعتدالها
وأعين أعناب لها فوق جبينها	غدت تسحر الألباب بعد إنتشالها
وتلمع من مباسم وردها	ووجنات رمان ترى فوق خالها

ولكي نمضي احتجنا رفيقاً مصراتياً ليكون دليلنا ويشق بنا أقواز مصراتة وأنباكها،[1] لسبر هذه الكنوز الغائرة، والدرر الثمينة، قيمة وقدراً .. فلم نجد خيراً من الرائع حبيب لامين .. الذي كان بامتياز حبيباً، وأميناً، وخير سفير لمصراتة .. وبالمناسبة أهنئ مصراتة .. والوطن .. بمصراتي في قامة حبيب علماً، وخُلقاً، وتواضعاً .. ولا أجد ضيراً في القول بأنك يا حبيب **مبعثاً للفخر** والوطن، وسيبقى الوطن بخير مادام به من أبنائه وبناته من هو يعطي .. ولا

(1) أنباك ومفردتها نبكة وهي هضبة من الرمل، التي تسمى قوز أو كوز جمع قيزان أو كيزان، بعدما تستصلح حيث يزال الرمل وتصبح أرض مستوية مسطحة تزرع بالفاكهة والخضراوات.

ينتظر أن يُعطى له .

لماذا مصراتة ؟

تساءل الحائرون والمتتبعون عن الماهية، والمبعث، وراء زيارة مصراتة تحديداً، في حين تركها أهلها على مر القرون، والأغلبية لم تعود، وهنا بيت القصيد .. حتى أن أحدهم قال: يا ودي مصراتة كالنار ..لا نقربها .. ولكن نتدفأ عليها من بعيد .. فجال في الرأس ألف سؤال وسؤال .. ضاقت بها النفس من طيلة الحمل .. منها :

لماذا قيل إن مصراتة بيئة طاردة .. ؟

من فينا من لا يعرف مصراتياً .. ؟

ولكن السؤال المثابر : كم منا زار مصراتة .. ؟

لهذا مصراتة جاءت إلينا من كل زاوية من أركان الوطن دون غيرها من البلدان الليبية، هذه المدينة التي قدمت عالم الدين، والمثقف، والسياسي، والمؤرخ، والتاجر، والمجاهد، والأهم: المهاجر، الذي ربط هذا الوطن بزواياه الأربع، مستدعياً عند الضرورة كل ما سلف ذكره من أدب، ودين، وجهاد، وتجارة. فلا ادري من أين ؟ وبالتي كيف ابتدئ ؟ ولم تسعفنا المكتبة الليبية والكتّاب المصراتية، على كثرتهم، فيما اعلم، بكتاب وافٍ عن مصراتة وأهلها، باستثناء مخطوط للأستاذ محمد حسن المنتصر عن مصراتة، وصلني عن طريق الزميلة اليزابيث سفج، رئيسة تحرير مجلة دراسات ليبية، الصادرة عن الأكاديمية البريطانية، وراجعته في ذات المجلة باللغة الإنجليزية عام 2003م .

شهادة تستحق التسجيل ..

في حديث مع الصديق الأديب عوض الشاعري عن ذات الموضوع، وعن تاريخ وتأثير عرب مصراتة خاصة في طبرق، وإسهاماتهم في تشييد الوطن قال:

« عرب مصراتة لهم إسهامات كبيرة في كل مجتمع قدموا عليه أو استوطنوا فيه، حتى هجراتهم المتلاحقة والمتتابعة إلى بر مصر، كما تعلم أن أولاد طه أو قبائل الطحاوي في صعيد مصر هم من مصراتة الشهيرة، وكانوا هناك قبل الحملة الفرنسية 1798م.

هنا في طبرق توجد عائلات من كل شرائح قبائل مصراتة: كراغلة، شراكسة، أهالي، وعائلات معروفة كالشويهدي، البكوش، العويب، الصغير، النعاس وغيرها .. كل الأسماء الموجودة بمصراتة لها فروع هنا ..

نشاطاتهم تجارية في الغالب، وليست لديهم مشاكل أو ضغائن .. معظمهم أتوا مع سنوات "الرابش" بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، بعضهم رجع، ولكن أملاكهم والكثير منهم لازالوا يؤثرون في الحياة هنا بطريقة جيدة.

هذه الحقائق التي ننشدها .. أنا اسكن في شارع معظمه عرب مصراتة، حتى وأن بدأ يتغير بعض الشيء في الأعوام الأخيرة بعد ازدهار مصراتة وأسواقها، ومنطقتها الحرة، ومصنع الحديد، وميناء قصر حمد.

هم في الغالب نشطون، ومتسامحون يحملون الود للجميع ودائماً تربطهم علاقات طيبة بكل الفئات، من أشهر عائلاتهم هنا عيت النعاس[2]، تجار ذهب، ولديهم ممتلكات كبيرة عقارية وتجارية، وملتزمون دينياً وأخلاقياً، لدرجة أنهم لا يتناولون طعام العشاء إلا بعد صلاة الجماعة معاً ذكراناً وإناثاً كما أخبرني قريب لي تربطه بهم صداقة متينة .. إنهم أهل تجارة وعمار ودين وصلاح، ويتعايشون مع الجميع ولا يعرفون الاستعلاء» (انتهى).


يرى من اليمين الحاج محمد المجري والدكتور محمد المفتي ومن ثم لنسيف الشيخ محمد حصيره وفرج نجم على وجبة افطار من العصيدة بالسمن والرب المصراتي

كما أن عائلات مصراتية كـ بيت المال، اغليو، الغويل، الفقيه، قلوص، الدردفي، العربي إلخ .. هم من أدخل التجارة منذ قدوم السنوسية إلى المنطقة في منتصف القرن التاسع عشر، وخاصة تجارة الذهب والفضة والحرير .. إلخ، وفتحوا المحلات في البيضاء التي كانت عامرة بالزاوية

(2) يرجع نسب آل النعاس لأولاد سيدي فتح الله (أولاد شيخ)، كما يرجع نسب رفيقنا حبيب لامين لأولاد سيدي فتح الله أيضاً، وكان الشيخ أحمد النعاس من مشايخ مصراتة المعروفين بطبرق، عاد إلى مصراتة بعد إلغاء التجارة، واستقر بها حتى وفاته.

السنوسية فقط، لتصبح بهجرتهم وتجارتهم تجمع مدني في شكل بيوت ثابتة يعيشها، ويملكها هؤلاء المصراتية في تجارتهم مع عربان البادية، فاندمج التجار المصراتية في هذه البيئة البدوية ليصبحوا جزء من اللهجة المحلية في أفراحها وأتراحها، وينسجموا معهم في إخاء ومصاهرة وانتماء.

هذه شهادة مما لا شك يفتخر به كل مصراتي من أخ طبرقي من أصول بدوية .. وها أنا أيضا من والدين بدويين أرنو معززاً برفقة مصراتية إلى مصراتة ..

فيا ترى هل نشرع من مصراتة التاريخ الموغل في القدم ؟

أي هوارة !!

أم مصراتة الأولياء والعلماء العارفين !!

أم مصراتة الكراغلة الذين هدموا دولة القراملية التي استغولت على أبنائها بعد أن بناها كراغلة المنشية على حسب ما صنفه المرحوم بازامه في مؤلفه الذي لازال ينتظر من ينتشله ليرى النور ..

ولا ننسى أن مصراتة الديموغرفيا التي تتكون من أهالي، وكراغلة، وأولاد شيخ، وبادية، وبعض العناصر العثمانية التي "تمصرتت" بالتعريب، ولاحقاً "تليبت" مع ما بقى من شظايا الوطن.. ولكن ما الضير إذ نزورهم كلهم، ونستطرق منهم تاريخاً تناسته الأجيال، ما جعل مصراتة نبض الوطن، ودوافقه بالدماء المهاجرة علماً وتجارة وإخاء.

M&H

الموقع والسكان ..

انتزعت مصراتة لنفسها عن جدارة المرتبة الثالثة بين البلدان الليبية، من حيث عدد السكان، والأهمية بعد طرابلس وبنغازي، وكان مركزها يعرف حتى سبعينيات القرن المنصرم بـ إماطين، وهذه لفظة أمازيغية الجذور، كما هي مصراتة، وهي عبارة: عن بطن من بطون قبيلة هوارة الأمازيغية، كما ورد ذكرها في «بلدان» اليعقوبي، و«تاريخ» ابن خلدون، والرسم الصحيح لاسم مصراتة هو بالسين، مسراتة، كما ذكره، وكتبه الجغرافيون العرب القدامى. [3] يذكر الأستاذ محمد المنتصر إنه كان حول إماطين في العهد العثماني الثاني أربعة قرى تقع اليوم كلها داخل مدينة مصراتة، وهي: الكوافة،



---

(3) المنتصر، محمد حسن، اسم مسراتة: معناه وتاريخه، نشر في موقع ليبيا جيل – الثلاثاء 31 أغسطس 2004م.

والمقاوبة، والدرادفة، والشرفا.[4]

تقع مصراتة في الجزء الغربي من ليبيا، وتبعد عن شواطئ البحر الأبيض المتوسط بحوالي 6كم، وتبعد عن طرابلس بحوالي 200كم، وعن بنغازي بحوالي 850كم، وتتمتع بشاطئين، شمالي على المتوسط، وشرقي على خليج سرت، ما جعلها نعمة بيئية حيث لا مجال للركود، فالموج يتلاطم من الجهتين عند "الكاب"، الذي يسمى في مصراتة بـ "بحر جنات"، ويقذف بكل مكروه بعيداً، فترى بالعين المجردة الانحدار نحو الجنوب، وتتغير الطريق نحو الشرق من المتوسط نحو الخليج، ومن الجنوب السبخة، ومنطقتي تاورغاء وورفلة، ومن الغرب منطقة زليطن، وإذا ما استعملنا المسطرة سنراها على خط مستقيم، يشوبه بعض الاعوجاج، يصلها بعروس الصحراء سبها إلى انجامينا عاصمة تشاد، كما عُرفت لأركاب المغاربة والحاجية (الحجيج) بأنها استراحة ومحطة وقوف لسببين، أولهما مكانة المحجوب والزروق، المغربيان الأصل، مراقداً وزاوايا، وكون مصراتة أخر العمران قبل دخول مفاوز سرت وبرقة اللتين كانتا هلاك ما بعده هلاك للإبل والسيارة.

ومن المعالم التي عرفها كثير من الرحالة والسيارة هي بئر قلمام في العرعار، حيث قيزان الرمل البيضاء، وقد غامر بنا أمير الركب وسائق السيارة، الشيخ امحمد المجري، وتعمق بنا نحو البحر لنرى المكان الذي كانت تفرغ الغواصات شحنها فيه للمجاهدين في مصراتة، وكذلك عاينا البئر، حتى كادت عجلات السيارة أن تغوص في تلك الرمال، التي بأعجوبة استطعنا دفعها إلى النجاة حيث الأرض الصلبة المتماسكة.

(4) المنتصر، محمد حسن، إماطين مركز مسراتة القديم، نشر في موقع ليبيا جيل ـ الأربعاء 22 سبتمبر 2004م.



وللعلم فإن الجنرال ايتالو بالبو، حاكم ليبيا الإيطالي في الثلاثينيات من القرن الفائت، كان أول من بنى بئراً ارتوازياً محققاً أمنية المؤرخ التركي جامي، حيث كان أولهما في سيدي المصري بطرابلس، والثاني في الدافنية بمصراتة.

قلنا كان الحجيج يمرون على البئر قلمام، كما كانت الرحالة، ومنهم من ذكره في كتاباته كالعياشي وإخوان بيتشي وبارث والدكتور دي تشيلا الذي رافق حملة القرمانلية في طريقهم لتأديب قبيلة الجوازي، والذي سجل لنا بالتفاصيل المقززة كيف غُدرت وذُبحت شريحة غالية من الوطن، ومن نجى منهم جلا، ليستقر معظمهم في صعيد مصر في المنيا ليومنا هذا، وقد بكاهم شاعرهم، وعز عليه أن يهجر أرضه ببرقة فقال:

نوادعوك يا برقة اليوم جـلينا لكن انجوك انجـوك باذن الله[5]
ولا تنتسي من البال يا الحنونه ولا ينتسى هلي اغرق في دماه.

قيل إن عدد سكان مصراتة الحالي فاق النصف مليون نسمة، وأقول يماثل هذا العدد وأكثر ممن هم استقرت حياتهم خارجها، وعلى الرغم من قربها من العاصمة فلم تبتلعها طرابلس الزاحفة بعمرانها، ولم تستحوذها سرت بعنفوانها السياسي، كما فعلتا مع الجوار، واستطاعت أن تستقل روحياً عن زليطن العاصمة الروحية لمريدي المنطقة.

استقر المجتمع المصراتي منذ الماضي العثماني على أربعة تجمعات قبلية رئيسية:

قبائل الأهالي: في مقدمتهم عائلة المنتصر، الكوافة، وفي القديم الغابر كان يتزعمهم الشيخ أبو القاسم بن الشيخ أبوبكر بن منتصر.

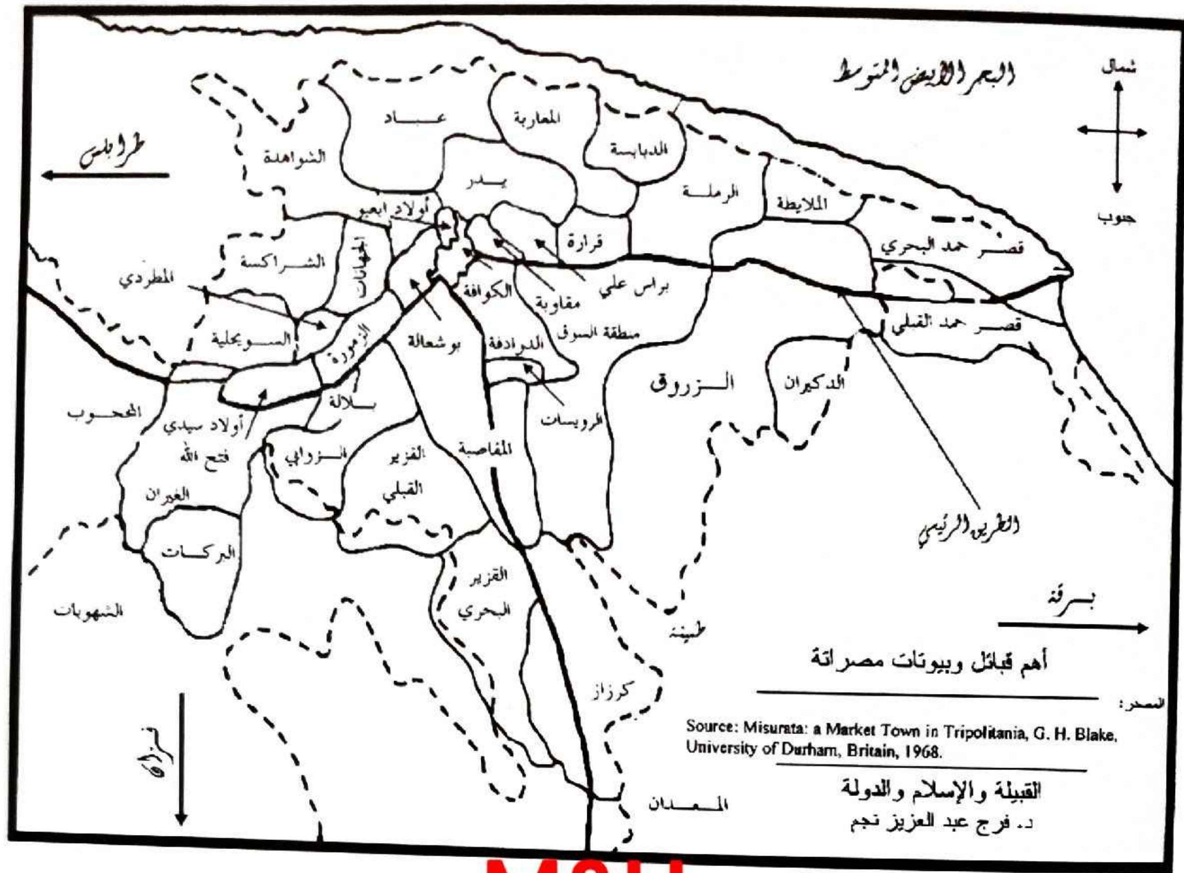
قبائل الكراغلة: في مقدمتهم عائلة الأدغم، وفي الغابر كان يتزعمهم عصمان آغا بن سالم آغا الأدغم.

قبائل المرابطين: وفي مقدمتهم أولاد الشيخ عبد السلام الأسمر الفيتوري.

وقبائل البادية: ومنهم المعدان والحسون والبركات والشهوبات وغيرهم.

M&H

(5) وفي هذا البيت والأبيات الأخيرة من نفس القصيدة يظهر التأكيد على الرجعة يوماً ما إلى برقة بتكرير الشاعر كلمة «انجوك». وهذا الموقف والمرارة عبر عنها الأستاذ المرحوم محمد عبد الرازق مناع الجازوي بأسلوب توثيقي في كتاباته لاسيما كتاب «الأنساب العربية» الذي آثار زوبعة ودوياً بين القبليين أصحاب النعرات في برقة لما يحمله من نبش للماضي ومخاطر للمستقبل كما اخبرني بعض زملائه من المعلقين.



M&H

للعلم اختلطت الناس بعضها ببعض، ولم يعد لهذه الترتيبات القوية تأثير نافذ على صيرورة المجتمع المصراتي، ولكن كانت أبرز قبائل مصراتة، وخاصة بين الكراغلة، قبيلة يدّر التي تعتبر الأبرز في مصراتة بشجاعة المصارتة وفرسانها، ومن أشهر بيوتاتها آل السويحلي التي برز منها رمضان الذي تزعم مصراتة .. وأصبح عضواً في رئاسة الجمهورية الطرابلسية .. وكذلك أخاه سعدون، وهذين الأخوين المشهورين بالشجاعة، والفروسية.

ولمعشر يدّر رجال كانوا يتغنون بركوبهم الخيل وبفروسيتهم حتى قيل فيهم:

ما تخافيش خوالك يدّر   راكبين الخيل الهـدّر.

فالكراغلة هم من أقوى المجموعات، وأكثرها وحدة وتماسكاً، وهي العنصر الاجتماعي الذي يتوفر على أحسن التقاليد العسكرية، وذكريات الخدمات المشهورة التي قدموها للحكومات السالفة،6 وهذا واضح في

(6) اغسطيني – المصدر نفسه.

تسيسهم، وتصدرهم للأحداث منذ ذاك الحين إلى يومنا هذا، مما أضفى شكوكاً يرددها البعض حتى يومنا هذا في كون الكراغلة أتراكاً، ولذلك بلغوا حظوة الحاشية، وهذا ما تدبرته، وكتبت عنه، وخلصت بأن الكراغلة في مجملهم هم ليبيون خلص، من مشارب جهوية وقبلية شتى، تم «تقبلنهم» على الطريقة الليبية، أي تحولهم إلى قبيلة واحدة داخل النسيج القبلي الليبي، تتمتع باحترام كغيرها من القبائل الليبية، في تركيبتها الهيكلية القبلية، من بيوت وبطون ومشيخة، واعتزازهم وارتباطهم الكامل بهذه الأرض، وتخلقهم بالطبع والخِلال المحلية في العيش، والعادات، والتقاليد، والطرب، والزي، والأكل، وليس هنالك ما يميزهم عن تراث أي من القبائل الليبية الأخرى، وكذلك تقبل القبائل العربية البدوية لهم، والاعتداد بهم، كجزء منهم، وقبولهم قبول كامل، وبدون أي تحفظات يذكرها لنا التاريخ.[7]

هذا كان نتاجاً طبيعياً لعملية «التكرغل» التي اجتاحت البلاد لأسباب سبق وأن عددت بعضها، يضيق المكان والزمان لتكرارها،[8] ولكن في مقدمتها الولاء ومن ثم البراء من الدولة، وهذا واضحاً في انتفاضتهم على حكم القرمانلية وتقويضه،[9] وولاؤهم وانحيازهم الكامل للعرب لغةً، ومذهباً، وشعوراً، وإحساساً ضد الترك،[10] مما يدعو إلى الشك في أصولهم التركية أو في تتريك بعضهم (أي أصبحوا أتراكاً) تحت العباءة العثمانية قبل مجيئهم إلى ليبيا.[11]

---

(7) ابن خلدون: نقلاً عن كمالي – (سكان طرابلس الغرب)، صـ22.

(8) راجع: «ظاهرة التكرغل وتركيبة الكراغلة» و«الكراغلة وأصولهم الليبية» في كتابنا الموسوم: القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا.

(9) كمالي – وثائق عن نهاية العهد القرمانلي (تعريب محمد بازامه)، (هامش المترجم)، صـ69–86.

(10) بن إسماعيل – مصدر سبق ذكره صـ265–267.

(11) بازامه – تاريخ برقة في العهد القرمانلي صـ121.

بن إسماعيل – مصدر سبق ذكره صـ212–213.



في مصراتة أينما وليت الوجه ترى النخيل الباسق، خاصة في الأنباك، فلم استغرب عندما أُخبرت بأن في مصراتة ما يقرب من مليون نخلة، ضاربة بجذورها في العمق، شاهدة على شعورهم الموغل بالمواطنة، وبالتالي بالمسؤولية نحو البلد، ولعل هذا ينبع من كون هؤلاء الأقوام من السكان الأصليين، أي من الأمازيغ التي استعربت وذابت في بوتقة العروبة في ظل الإسلام، فاستوعبت العرب مؤاخاة وإصهاراً، وانسجم الجميع مع هذه الترتيبات الجديدة في وئام لدرجة استحالة التمييز أحياناً بين الأصيل والدخيل.

هذا ما أكده المؤرخ إسماعيل كمالي:[12] «... هوارة مصراتة ... وهم القاطنون في

(12) من أصل الباني، وليس تركياً كما ذكر الزاوي في الأعلام. عرف سكان منطقة طرابلس وما حوليها. ساهم بدور كبير في بحث انريكو دي اوغسطيني عن سكان ليبيا، حيث عمل مع الحكومة الإيطالية إخلاصاً منه لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من براثن الطليان، وقد

الأراضي الممتدة نحو سرت وبرقة لازالوا كثيرين وأقوياء، وقليل منهم يدفع نسبة من الضرائب للعرب ... وهم في زمن ابن خلدون لا يزالون يحترفون التجارة مع مصر وتونس والسودان. وفي أيامنا هذه، وعلى الرغم من أن القسم الأكبر من سكان .. مصراتة، وتاورغاء .. ينحدرون من هوارة ... فلا أحد منهم يريد أن يعترف بانتسابه لها، .... »[13]

فكانت مصراتة تعرف بـ هوارة، كما عُرف مرسى قصر حمد في العصور الوسطى باسم مرسى هوارة، وظل سكان تاورغاء والبادية حتى الستينيات من القرن العشرين يسمون مصراتة وسكانها باسم هوارة.[14]

ذكر له وفاءه لبلده ليبيا المؤرخ المفتي الطاهر الزاوي في كتابه «أعلام ليبيا» صـ 107-110».

(13) كمالي – مصدر سبق ذكره صـ 23.

(14) المنتصر – تاريخ مصراتة منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العهد العثماني (مخطوطة لم تنشر بعد) صـ 7.

الهجـرة ..

كلما ابتليت مصراتة باضطرابات وظروف طبيعية قاسية كالجدب والأوبئة أو تفشي البطالة يجد أهلها الفرج في بقية الوطن، سواء في طرابلس أو سبها أو سرت .

في سرت تجد الكوافة، وفي مقدمتهم آل المنتصر، فقد كانت سرت خواءً خالياً، تموج بالرمال القاحلة، تفتقر العمران والإنسان، حتى شاعراً قال :

يا طامع بسـرت بمال وفي صـندوق مفتاحـه
من شرقك كثبان رمال ومن غربك سبخة ملاحة

كان المرور بصحراء سرت نوع من المجازفة والمخاطرة، التي لا تحمد عواقبهما، فكانت موبوءة بالغزو، ما دأبت عليه الأعراب من سلب ونهب، فكانت صحرائها تجوبها قبائل البادية كالمغاربة وأولاد سليمان والقذاذفة وأولاد وافي وغيرهم، فأرادت السلطات المركزية في طرابلس أن تؤمن طريق القوافل والحجيج والسابلة بين مصراتة وإجدابيا، مروراً بسرت، فاختارت لها علي باي لطيوش، عمدة قبيلة المغاربة، وجد المجاهد صالح لطيوش، وشيدت له قصر الزعفران بسرت، كمسكن له، وعُين قائمقاماً لها .

كان علي لطيوش أول بدوي يمنح رتبة البكوية من الدولة العثمانية أو كما ينقل الأشهب في كتابه « السنوسي الكبير »، ولكن لم يستقر لطيوش في تلك الدار التي بنوها له في سرت، فكان كثير الترحال كعادة البادية في حلها وترحالها، حيث لا يستقر لهم مقام في مكان واحد، وكما يقول شاعرهم:

عز بوادي كل يوم رحيل .



فنصّب والي طرابلس عمر المنتصر ممثلاً للدولة في سرت خلفاً للطيوش، فجاء البيّ عمر، كما أصبح يعرف فيما بعد، من مصراتة، وجلب معه كثير من عرب مصراتة، الذين شرعوا في التجارة والعمران، كدأبهم، ولأن المنتصر حضرياً باشر على الفور في توفير مقومات الاستقرار، فبنى جامعاً بسرت، وسوقاً، فسُمي عليه، وبني أيضاً "تكية" لإطعام الفقراء والسابلة، ولم يقتصر المهاجرون على مصراتة فقط، فقد شجع البيّ عمر التجار والعمال من زليطن ومسلاتة وورفلة وغريان وغيرها من مناطق التي كانت تمثل الاستقرار في الحياة الليبية، ليساهموا في البناء، كما شجع البادية على الاستقرار الذين لحقت بهم قبائل الفرجان وأولاد هامل، ليستقر بعضهم داخل سرت، والأغلبية في الوديان حول سرت مع غيرهم من البادية التي كانت بالمنطقة،

واستجلب معه اليهود، الذين بنوا المطاحن، وكانوا يتاجرون مع البادية في نجوعها بالتواصل معهم على الحمير.

فالفضل يرجع للبي عمر، وعرب مصراتة، في بناء سرت البلدة، وخاصة سوق المنتصر، الذي كان يتكون من "رحبات"، أي ساحات، ملاذة بمحلات من جميع الجهات، فكان هناك "رحبة" التمر، وأخريات للسمن والخضرة والزيت والشعير وغيرها، وكان السوق يعقد كل يوم أحد وثلاثاء وخميس، وكانت تزحم فيه العرب زاحفة من كل المناطق القريبة والبعيدة من سرت، حتى مؤخراً، بـ دلاّلة للذهب والفضة والحرير والطيور وغيرها، حتى هُدم، كما هُدم سوق الظلام في بنغازي. وقد خلف عمر المنتصر على قائمقامية سرت مصراتي آخر، يدعى مليطان، ولكن بقى المنتصر عالقاً بذاكرة السرتاوية بالبناء والعمران، كما هي مصراتة بحسن الجوار.



وفي سبها من المصارتة المعروفين عائلتي بوجرادة والشباح، ولكن الانتشار الأكثر كثافة وتواتراً هو في برقة خاصة، حتى أن البعض قال فيها "برقة رابية الذايح".[15] ومن الأوائل الذين استوطنوا مدينة بنغازي كان المصراتية مع الآخرين، كالأندلسيين واليهود، أفراداً وعائلات، في مطلع القرن السادس عشر الميلادي. فأول هجرة حفظها لنا التاريخ من مصراتة كانت في 1555م عندما أراد الوالي – دارغوت باشا – تأديب من تحدى سلطانه، فهاجر كثيراً من أهل مصراتة إلى بنغازي بعد هجمته الشاهنشهية عليهم. والملفت وجود

(15) المقصود ان برقة تربي كل من ياتي إليها لسبب أو لآخر، وتعطيه فرصة متكافئة للعيش فيها.

أسماء عوائل مصراتية في بنغازي تكاد أن تكون شبه انقرضت في مصراتة كـ بسيكري وجربوع والشقعابي وبن كاطو والشكماك والكيخيا، وإن الثقل الأكبر لبيوتات كـ قرقوم والجهانات لا تجده في مصراتة، بل في بنغازي.

الهجـرة ..

الهجرة لم تكن دائماً بحثاً عن الثراء أو لقمة العيش أو الهرب من الخشية، ولكن المغامرة أحياناً، ونجدة الملهوف أحياناً أخرى، كما صورتها مخيلة الملحمة في تجريدة حبيب (وحبيب من بيت عيت مريم في العبيدات)، عندما احتربت قبيلتا العبيدات وأولاد علي، فاستنجدت الأولى بالوالي، الذي جند لها الجند، فيما عُرف في الذاكرة الشعبية بـ تجريدة حبيب، الذي يفترض أن رحاها قد دارت عام 1670م، وأدت إلى توطين كثير من قبائل مصراتة وأخر من ورفلة، وتاجوراء، وزليطن، وغيرها .. وذكرهم الشعر:

لـو ولا حبيب المريمي وانصاره تواجير وزليطن خيرة الفرسان
محاجيب مصراتة والقزير عصاره فيهم تريس الحق ما ينهان

فبعد التجريدة، وحطها أوزار الحرب، استقر أغلب عرب مصراتة وورفلة بمنطقة المغار وحواشيه، التي تسمى أيضاً بدرنة العليا، ومن العوائل المصراتية الخلص المساورة، ساسي، القزيري، سرقيوه، وبوجلدين المحاجيب، واندمجت فيهم بيوتات من ورفلة من باب التكاتف وحسن الجوار، ويذكر الأستاذ صلاح محمد جبريل في كتابه الموسوم « تجريدة حبيب » بأن جدهم، علي جبريل، أوصى على مؤاخاة مصراتة حتى غلبت عليهم تسمية مصراتة بدل ورفلة، واعتبارهم واحد ولديهم وثيقة بهذا الخصوص.[16]

وإحدى المصادر الشفوية التي سجلت لنا حضور قبائل مصراتة في هكذا ملاحم كانت الإضافة للشاعر البدوي عنصيل – قبيلة البراعصة بيت خضرة

(16) جبريل، صلاح الدين محمد – تجريدة حبيب صـ 47ـ48.

- عندما هام على وجهه في أرض الله الواسعة، فوجد نفسه تائهاً في كربلاء، واقفاً أمام مرقد الحسين، والشيعة تتباكى عليه .. فساءل .. فاجبوه .. بمؤلم عاشوراء .. وكأنه معنياً عندما ناح الشيخ جعفر الكربلائي شعراً وقال:

فوا نفسي اذهبي وجداً وحزنا ... ويا عيني بحمر الدمع جودي
على حلو الشباب وبدر تم ... شبيه محمد خير الجدودِ
كأني بالحسين غدا ينادي ... علينا يا ليالي الوصل عودي

ويذكيه ابن أبي الحديد المعتزلي بقوله:

تالله لا أنسى الحسين وشلوه ... تحت السنابك بالعراء موزع
متلفعاً حمر الثياب وفي غد ... بالخضر من فردوسه يتلفع
تطأ السنابك صدره وجبينه ... والأرض ترجف خيفة وتضعضع
والشمس ناشرة ذوائب ثاكل ... والدهر مشقوق الرداء مقنع
لهفي على تلك الدماء تراق ... في أيدي طغاة أمية وتضيع

فبكى عنصيل سليل برعاص مواسياً، فاجعة الآل والأمة، وزاده تأثراً موقف تخاذل بعض قبائل العراق، لعدم نصرتهم أحفاد رسول الله عليه الصلاة والسلام، فبث كربلاء وجداً وشعراً، كان لأصدائه ردود بين أهل النخوة في ليبيا، وخاطب عنصيل كربلاء بأن له من بواسل قبائل ليبيا من سيقف دون الحسين، بالمهج والسنابك، وليس أشباه رجال العراق، أو كما وصفهم من قبل آباه، كرم الله وجهه، ويرد رجالنا عن السبط مظلوميته، إذا ما أعيدت الكرة على جيش يزيد وخادمه ابن زياد يوم الطف فقال:

تمنيتني في الفين فوق احصنه   نهار كربلاء ونجيه قبل يجنه
فـوق جـــوايد   فراسين كسر صاحبات عوايد
ارماح وجوازي يفزعن وفوايد   ونا لولي اللي نقول ها يا عنه[17]

فالتقط الشطرة أحد شعراء مصراتة، كما فعل غيره من غيارى ليبيا، ليلتحم مع عنصيل، ويقتحم كربلاء في ملحمة ليبية تشيعت شعراً للحسين وخطبه .. فزاد:

تمنيتني في الفين من مصراتة فزعهن يجي ع الحال في طلباته
زغيبات وذكيران هل حضراته وان جت الحاشية قضيت جميع العنه.[18]



أيضاً هجرة تجار مصراتة، التي اجتذبها الربح، على وصف أستاذنا بازامه، كانت هجرات اقتصادية تجارية محضة، حملها على الاستقرار رواج الأسواق،(19) فجاء عرب مصراتة ليزاحموا الغير حتى فرضوا سيطرتهم على تجارة بنغازي، ثم زحزحوا

(17) ومعناها: كم تمنيت أن أكون مع ألف رجل راكبين خيلنا نهار كربلاء، ونصل الحسين قبل أن يصله العدو، ونحن فرسان فوق جياد معروفة بجدها، ونفزع في قبائل كـ الرماح والجوازي والفوايد، وأنا أولهم من يقول ابتعدوا عن الحسين.

(18) جبريل، صلاح الدين محمد – تجريدة حبيب صـ 54–57.

(19) بازامه، محمد مصطفى – مصدر بنغازي عبر التاريخ صـ 246.

M&H

الطواهر (من قبائل زليطن) خارجها، ليستقر المقام بالطواهر في درنة بصورة نهائية .[20]

وعندما احتدمت بعض هذه الظروف، وخاصة بعد الحملة العسكرية التي قادها الوالي دارغوت باشا على تاورغاء ومصراتة، وجد أهل مصراتة على وجه الخصوص الملجأ في برقة، فكونوا نواة مجتمع حضري فيها،[21] التي كانت حينها البادية يقطنها العرب البدو، ولم يُعرف فيها الاستقرار وحياة الحضر إلا في مدينتي بنغازي ودرنة. فنجح المصراتية في التجارة – كما هو حالهم أينما حلوا ونزلوا – وبذلك ملكوا حق الامتياز، وهذا در عليهم من الخيرات مالاً وأملاكاً ما فاض وزاد لينعش الحياة الاقتصادية في الأماكن التي استقروا، وتاجروا فيها .[22] ولذلك يرجع الفضل إليهم في ترميم البنية التحتية لبنغازي، وتقوية عمادها الاقتصادي وتنميته، فتسمت أحياء وشوارع في بنغازي بأسمائهم كمصراتة، والمحيشي، وقصر حمد، وباله، والغويل، وبالروين، والصابري وغيرها .[23]

والشيء بالشيء يذكر . . يرجع منشأ منطقة الصابري المحاذية لشط البحر ببنغازي إلى عائلة الصابري التي أصولها من مرفأ قصر حمد البحري بمنطقة مصراتة، ولعلهم وجدوا في شط الصابري ورماله في بنغازي ما يخفف عنهم الغربة، ويعوضهم في البعد عن شط ورمال قصر حمد في مصراتة، وللصابري مكانة خاصة لكاتب هذه السطور، لأنها مسقط رأسه، ومرتع طفولته، خاصة في سوق أحداش.

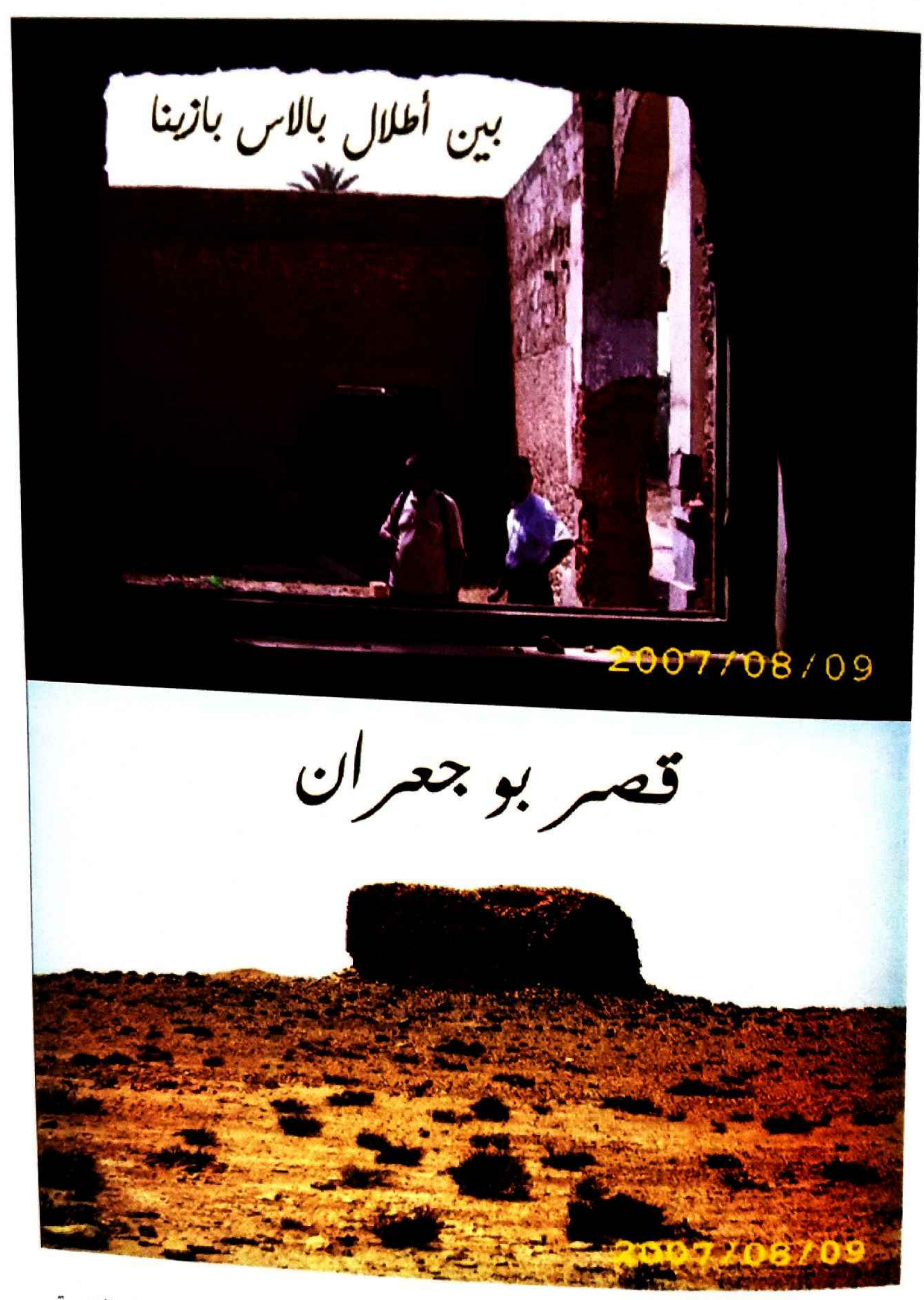
(20) المصدر نفسه صـ 244-246 .
(21) برنيا (تعريب التليسي) – طرابلس من 1510 إلى 1850م صـ 59 .
(22) Pritchard –The Sanūsī of Cyrenaica, p 41 .
(23) بازامه – مصدر سبق ذكره صـ 255–256 .

الملاحظ أن هجرة المصراتية شرقية في اتجاهاتها، وإلى بنغازي تحديداً، على الرغم من أن طرابلس الأقرب بالنسبة لمصراتة جغرافياً وسكانياً، ومن عائلات مصراتة خرجت عائلة الحبيب بورقيبة – درادفة – ليصبح مؤسس دولة تونس الحديثة، كما كان لعلماء مصراتة، والغرب الليبي بصورة عامة، الفضل الكبير في تعليم البرقاوية أمور دينهم، بعدما أشركهم "الشراقة" الزرع والذرع، فتولوا مهام التعليم، والوظائف الإدارية إلى جانب القضاء. وبذلك استطاع هؤلاء المهاجرين من غرب الوطن إلى مشرقه الربط بين الإقليمين ربطاً عضوياً، ومعنوياً، لدرجة استحالة الفصل بينهما، نتيجة التزاوج، والتصاهر، والتكاتب بين سكانهما.

وتعترف قبائل بادية برقة، وتقدر، لهم ذلك، بل في بنغازي استبدل البدو تسمية هؤلاء المهاجرين من "عرب غرب" أو "مصراتة" بـ "الحضور"، لتشمل من هم ليسوا من أصول مصراتية، وفي درنة سموا "درناوية". وهاتان التسميتان تحملان دلالة صريحة على أنهم أصبحوا جزءً لا يتجزأ من التركيبة المحلية، بينما بقى البدو يعرفون كما كانوا بـ البدو، إلا من تحضر منهم، ودخل المدينة كدرنة، فتُخلع عليه تسمية الدرناوية لتحضره، فأصبح البدو: بادية الحضور، والحضر: حضور البادية، وبهذا التعايش السلمي ازداد عدد سكان الحضر وخاصة في بنغازي ودرنة، إما بالتوالد أو بازدياد موجات الهجرة، حتى أصبحوا الأغلبية في أماكن مثل بنغازي.[24]

M&H

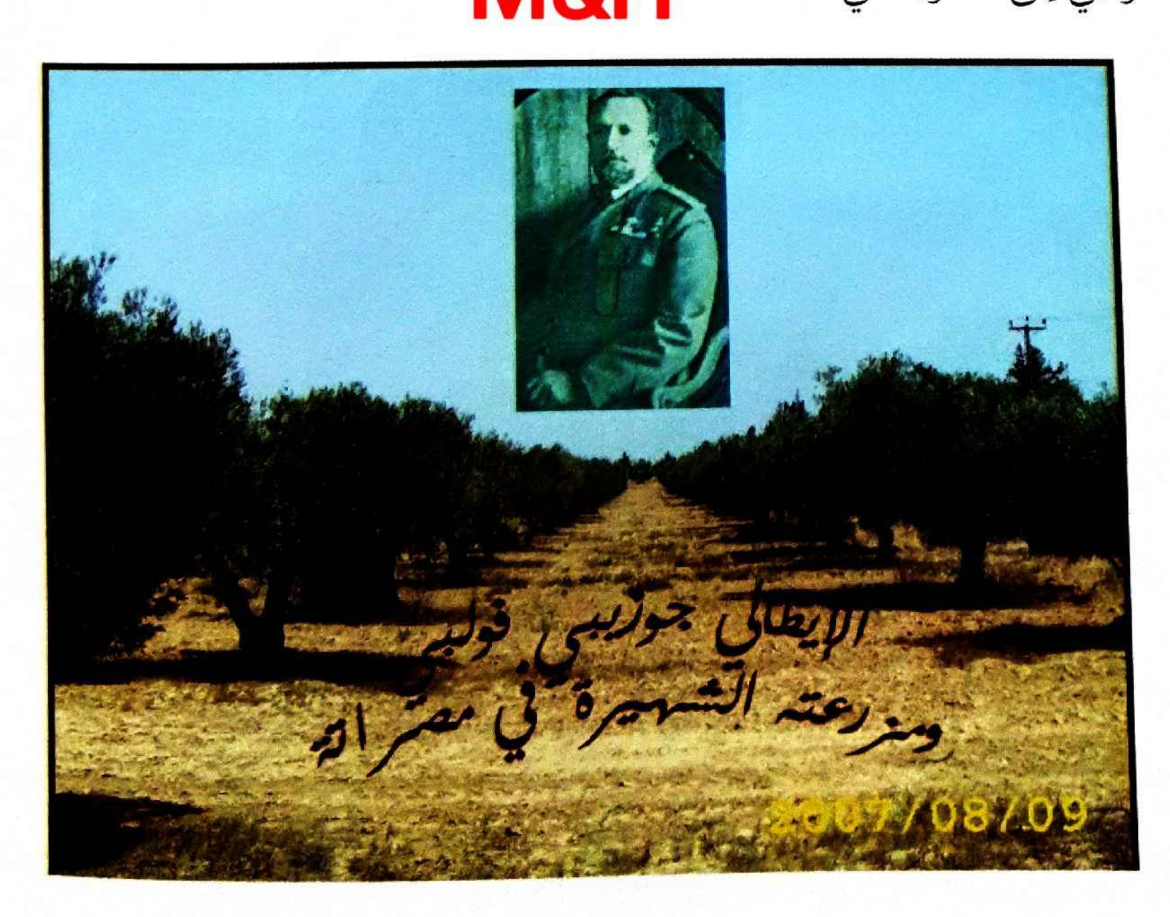
(24) نجم، فرج عبد العزيز – القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا صـ210.



في أربعينيات القرن المنصرم حدثت هجرة كبيرة من مصراتة إلى الشرق نتيجة ما نزل بمصراتة من نوازل كادت تقضي على البشر كما قضت الحرب العالمية الثانية على كثير من الشجر والحجر، وعلى الرغم من إيطاليا

الاستعمارية أعطت بعض الأهمية لمصراتة لموقعها الاستراتيجي، فبنت فيها بعض المباني، وشقت الطرق، طبعاً للطليان المستوطنين، الذين استجلبت أغلبهم من فقراء صقلية ليعمروا المنطقة، واهتمت بميناء قصر حمد، الذي سمته مصراتة مارينا، وللأسف هدم الليبيون منارة قصر حمد القديمة، وكذلك الظهير الزراعي في طمينة والدافنية اللتين عرفتا إبان الحكم الإيطالي بـ كريسبي والأخيرة قاربالدي، ورأيت بأم العين الأراضي التي استصلحها الحاكم العسكري، والذي تكنى بـ فولبي مصراتة، Volpi Di Misurata، وكيف استأجر هذا الجنرال العمال المصراتية لفلح الحقول، التي كانت تغص بأشجار اللوز والكروم والنخيل والزيتون، والمعاصر التي استخرج منها أجود أنواع النبيذ والزيوت التي تدرها أشجار الكروم والزيتون، لتصدر للخارج، وتبقى "الفيتورة" لمن هم في الداخل، وهذه الأشجار نُسقت على الطراز الأوروبي، والآن وبعدما آلت ملكيتها للدولة الليبية تغير اسمها من فولبي إلى السويحلي.

M&H



ورأينا "بالاس بازينا"، أو بالأحرى ما تبقى منه بعد الهجر والإهمال، وقصر بوجعران، ومررنا على سيدي عبد الرؤوف وشجرة الزيتون التي تنظر إليها ديوك مصراتة بشيء من الشؤم، حيث كان يأتي أهل مصراتة لزيارة المرقد، ومعهم في العادة ديكاً، فيذبح المسكين قرباناً، ويُبتلع، وما يتبقى في العادة منه الكراعين اللتين يعلقا بتلك الزيتونة، حتى غدا مثلاً شعبياً "مشية الديك لسيدي عبد الرؤوف".



سيدي عبد الرؤوف
وزيتونته الشهيرة

فعندما نُكب الوطن وخاصة مدنه الساحلية التي ضربت بكثافة إبان الحرب، ووجد المصراتية أنفسهم في وضع لا يحسدون عليه، فأصابهم دمار الحرب، علاوة على القحط نتيجة غياب المطر لأكثر من خمس سنوات متتالية، فوصل الجوع بالناس حداً لا يحتمل ولا يطاق، فليس هناك ما يأكل

على الإطلاق، وزادت الأمراض حالهم سوءً، ففتك بهم الجدري والجرب ومرض الترخوما الذي ينتج عنه العمش الذي كان متفشياً بين الليبيين، ما يؤدي إلى العمي .. وهذا المآسي صورها لي الدكتور علي فهمي خشيم في "هدرزة" معه على مصراتة،(25) وكان شاهد عيان على تلك الحقبة، وقال: بينما كنت ماشياً في زيارة لشقيقتي عام 1947م في بن نعسان، بمنطقة يدّر، وإذا بعجوز مكفوف يصرخ والناس متحلقين حوله، ويبكي بحرقة ويقول: «عدو علي وخلوني وأني كنت راقد»، أي أهله تركوه وهاجروا شرقاً في هروب من الشر.

وعام 1947م عُرف بـ« عام الشر » حيث القحط والجدب، وما ترتب عليهما من مجاعة وأمراض وهجرة من المنطقة الوسطى والغربية.

ثم يسترسل الدكتور خشيم ويذكر أن الحال كان كما هو الصومال الآن – على سبيل المثال – ولكن لا مساعدة من الأمم المتحدة ولا حتى دول الجوار ولا العظمى أو هيئات إغاثة، فاضطرت بيوتات بكاملها للاتجاه شرقاً، حيث وجود الاستقرار النسبي، أي سلطة الدولة، المتمثلة في الإدارة العسكرية البريطانية وإمارة برقة، كذلك العملة المصرية التي كانت متداولة، والأهم هو توفر سبل العيش كالأمطار التي انهالت على برقة مقارنة مع مصراتة، وما جلبته من خيرات، والنمو الاقتصادي وتوفر فرص العمل التي لا يجد أهلنا أي عيب أو منقصة بالاشتغال بها، وكذلك أبناء العمومة الذين رحبوا بهم، وهذا لم يقتصر على مصراتة فقط بل وفدت الناس من طرابلس وما غربها والجبل الغربي وزليطن ومسلاتة والعمامرة وقماطة والخمس وهون وسرت وترهونة وورفلة وفزان وغيرها من المناطق المنكوبة في الوطن، فاستقبلهم

(25) حوار أجريته مع الدكتور علي فهمي خشيم بطرابلس بتاريخ 7 سبتمبر 2007م.

العوام والأعيان، ووفروا لهم فرص العيش، كما فعل المرحوم يوسف لنقي، عميد بلدية بنغازي، مع أبناء عمومته من ورفلة.

تناغم عرب مصراتة وبرقة في تطابق الرؤى والتطلع، تجاوز الهجرة وروابط الدم والمصاهرة والتجارة، ليكتسب أهمية وإستراتيجية سياسية.

يبقى أن نذكر بأن النعرة البنغازية تكاد أن تكون حضرية بامتياز، بقيادة مصراتية، حيث المعروف عن البدو ارتباطهم بأراضيهم في البادية التي يسمونها "وطن"، مثل وطن العرفة والدرسة إلخ، أما الحضر فقد تمسكوا بحواضرهم سواء في بنغازي أو درنة، حتى أن الضابط المبروك البسيوني قالها صراحةً في محكمة الشعب في بداية السبعينيات بأن "بنغازي رباية الذايح" حين غاظه ضابط التحقيق وذكره بأصوله المصراتية، في حين أن العواقير الذين يحلقون ببنغازي من ناحية البر كانوا يرون بنغازي "مربوعة" لهم، لا غير، على حد تعبير أحد مشايخهم، وأن عمادة بلدية بنغازي حتى مؤخراً كان يتداولها الحضر بينهم، وأن الهجمة الأولى التي باغت بها الاستعمار الايطالي بنغازي تصدى لها الحضر في معركة جليانة، وكان لمصراتية بنغازي النصيب الأوفر من الشهداء السعداء.

الصوفية والتصوف ..

M&H

من المعروف عن أهلنا هو تمسكهم بالدين، حتى أن مؤخراً تحصل الطالب المصراتي مصطفى جمعة مطاوع على الترتيب الأول في المسابقة القرآنية الرابعة والعشرين لحفظ القرآن الكريم على مستوى العالم الإسلامي التي أقيمت في إيران عام 2007م، وتجد التمسك بالدين والحماس له في مصراتة بين البار والفاجر، فعلى الرغم من قربها من طرابلس العاصمة، وزليطن حيث مرقد الولي الصالح الشيخ عبد السلام الأسمر، إلا أن مصراتة استطاعت أن تستقل روحياً وتجتذب من العباد النساك ما يجعلها قبلة المريدين وطلاب العلم، فقد زرنا ثلاثة مراقد علماء كبار إجلاء، ذاع صيتهم ليتجاوز حدود مصراتة بل الوطن كله، فقد زرنا مرقد وزاوية الشيخ أحمد الزرّوق، ومرقد وزاوية الشيخ محمد المدني، وكذلك مرقد وزاوية الشيخ إبراهيم المحجوب الذي استقبلنا كرماء من سلالته ونسله المحاجيب أحسن استقبال، وفتحوا لنا قلوبهم وتصارعوا على إكرامنا في بيوتهم، لا لشيء إلا لله .. وبراً بأبناء الوطن.

السيد إبراهيم المحجوب أول ولي صالح بهذا الحجم ينزل مصراتة، وبعده يأتي الشيخ أحمد الزرّوق، واثنينهما من المغرب الأقصى، وبعدهما يأتي الشيخ محمد المدني. يقع مرقد السيد المحجوب في غرب مصراتة، والشيخ الزرّوق في شرقها بينما الشيخ المدني في الخروبة بينهما في وسط مصراتة، وقد خلع الزرّوق والمحجوب اسميهما على المنطقتين في حين احتفظت الخروبة باسمها على الرغم من تكرمها وتزينها بمرقد وزاوية الشيخ المدني. وهناك مناطق أخرى بأسماء أولياء صالحين أقل شهرة من هؤلاء مثل: سيدي بوشعالة، وسيدي فتح الله، وسيدي صالح، وأولاد بعيو .. الخ.

المحجوب ..

استقبلنا المحاجيب في زاوية جدهم، أحسن وأكرم استقبال، وفرشوا لنا الولائم في بيوتهم، كما فعل الشيخ الهاشمي وبنيه الكرام، شيخ الطريقة العروسية،



وصلينا الجمعة في مسجد زاويتهم بإمامة الشيخ الفاضل محمد المغربي المحجوبي، وقد رُص الصُحن بالمؤمنين، ولاحظت الجميع، سادلاً في صلاته على الطريقة المالكية، ولم أرى استثناءً إلا العبد الله ورفيقي متكتفاً، يبدو أن عولمة السلفية وقبضها قد حُجبت في المحجوب، فمما لا شك فيه أنهم حافظوا على مذهب المالكية فقهاً وروايةً وتقاليدا، ولعل في هذا تفسيراً لعدم انتشار مدرسة الأحناف على يد الحكام العثمانيين في ليبيا.

فالسيد إبراهيم بن محمد بن إسماعيل المحجوب، الذي تنتسب وتسمي

M&H

باسمه المنطقة التي بها، ينحدر من سلالة الأدارسة الأشراف ينتهي نسبه في الجد الثلاثين من ولد الإمام السبط الحسن بن علي رضي الله عنهما، كانت أسرته تعيش وتحكم المغرب الأقصى، وبعد ما حل بهم من فرقة وبلاء انتشرت في المغرب الكبير بما فيها ليبيا، فأتت أسرته طرابلس الغرب، بينما بقى أخاه علي الأكبر في المغرب، وعلي الأصغر وأباه استقرا بهما المقام بتونس، أما إبراهيم وأخيه حامد جاءا إلى جبل نفوسة ثم استقرا بصرمان، ولم يعرجا على طرابلس التي كانت حينها موبوءة بالقلاقل، ثم جاء إبراهيم، الذي يكبر أخاه حامد، إلى مصراتة عام 1341م، واُستقبل استقبال العلماء وكُرم، فتصدق الأهالي له بالأرض التي تشرفت بمقامه وزاويته.

لازالت أغلب ذرية السيد إبراهيم المحجوب تعيش في نفس المنطقة، يصل عددهم إلى ما يقرب العشرة الآف، ينتمون إلى ثمانية أفخاذ، ويعيشون مع قرابة 35 قبيلة أخرى في نفس المحلة، ما يزيد عدد الإجمالي على 26 ألف، والملاحظ أنه لا يوجد محاجيب مهاجرين يذكرون في غرب ليبيا، بل أكثرهم في برقة، كعوائل حديد والطويل الشاوش وبوكردوغه وبوشوفه وشنبيره واسباقه وامعيلف وبشير والمجري والشقماني في بنغازي وبوجلدين بدرنة.

وقد صنف رفيقنا، حبيب لامين، بحثاً مستفيضاً، آن وقت خروجه للنشر ككتاب عن السيد المحجوب وزاويته، بعنوان «**زاوية المحجوب منارة للحضارة الإسلامية**» ذكر فيه:

« .. تقع في الضاحية الغربية من مدينة مصراتة في قرية يغلب عليها الطابع الريفي، فهي تربض وسط المزارع الخضراء التي تحيط بها من كل جانب،

وتتمثل الزاوية في عدة عناصر كوحدة معمارية واحدة مركزها المسجد القديم القائم علي أعمدة رخامية أثرية قديمة – يبدو أنها استعملت من مبنى أثرى قديم أقيمت على أنقاضه الزاوية – يزيد عددها عن 33 عموداً، وبجانبه مجموعة خلاوي لإيواء الوافدين للدراسة، والزيارة، ويتوسطها ضريح الشيخ إبراهيم المحجوب تعلوه قبة زينت .. بالإضافة إلي مجموعة فصول لتدريس القرءان والعلوم الأخرى.

أما عن دورها (الزاوية) في حركة الجهاد فهو غني عن التعريف والتوضيح فهي المدرسة الأولي التي تخرج منها الكثير من الأبطال المجاهدين منهم البطل الشهيد رمضان السويحلي وأخوه الشهيد سعدون السويحلي اللذان درسا بها وحفظا القرآن الكريم فيها، ومن صور دورها في حركة الجهاد أن الطبل كان موضوعاً فوق سقف الزاوية ينادي للجهاد ويعلم الناس بالاستعداد له ..».



ويؤكد الأستاذ حبيب بإسهاب بأن زاوية المحجوب «**تُعد من أقدم الزوايا، وأعتقها، إذ يرجع تاريخ تأسيسها إلى فترة تربو عن ستة قرون ونصف قرن، فقد أسست عام** 1331م (742هـ)**، وقد تخرج منها الكثير من العلماء من أمثال الشيخ يوسف الجعراني، والشيخ كريم الدين البراموني**».

أرض الزاوية تعتبر في فقه الأحباس بـ «سلوك طوعي»، إذ هذا وقف عام يرجع للشيخ، ولخدمة طلاب العلم والحجيج الوافدين، أُلزم به ذرية المحجوب، وهذا يشمل الزاوية وملاحقها وما فيهن، ولهذا كانت معفية من الضرائب – بفرمان تركي – إبان الحكم العثماني للبلاد، وقد تطورت الدراسة فيها إلى أقسام شتى، حالياً تحتوي على: ثانوية شرعية، حلقات تحفيظ، حلقات دروس دينية متنوعة، ومكتبة تضم آلاف الكتب، تخدم عشرات الفنون من أجناس المعارف، وهي تعمل بالفترتين الصباحية والمسائية عدا يوم الجمعة.

كما تضم الزاوية قسماً داخلياً به عدد من الطلاب الوافدين من مناطق مختلفة، وتشرف على هذا القسم إدارة المنارة، وتقوم بتمويله اللجنة الأهلية لوقف السيد إبراهيم المحجوب. وقد شُرع في تشييد مبنى كبير للمنارة، كما يجرى العمل حالياً على إنشاء مبنى آخر خاص بحلقات التحفيظ والقسم الداخلي ملاصق لمبنى المنارة. والعجيب الذي رأيناه، خاصة في زاوية الزرّوق، أن أغلب حفاظ القرآن الكريم من النساء، حيث تراوحت الأعمار من السبع إلى السبعين.

الزّرّوقيّـة ..

نسبة للشيخ أحمد البرنسي المشهور بالزرّوق[26] مؤسس الزروقية، من بربر المغرب، صاحب المشهد العظيم، وبجانبه صاحبه منصور البجائي، في مدينة مصراتة.[27] وقد استقبلنا أحد الخيرين والقائمين في المركز، الشيخ مصطفى بوعجيلة، وطاف بنا على الزاوية وجامعها ومكتبتها الزاخرة بأنفس الكتب، والشيخ الزرّوق جاء إلى ليبيا هارباً من الاضطهاد الذي لاقاه في بلده الأصلي المغرب بمدينة فاس. فوصل إلى مدينة مصراتة فرحب به الأهالي والسلطات، كعادتهم بالسابلة والعلماء،[28] وتقبلوا دعوته، وقبل هو دعوتهم للإقامة، فبنوا له زاوية أسوة بالمدن الليبية الأخرى من باب التبرك، وعندما وافته المنية دفنوه في المنطقة سنة 1493م، وأصبح مزاراً يزهو به المصراتية. وقد انتشرت طريقته على أيدي تلاميذه الليبيين وغيرهم من المسلمين في دول الجوار بشكل نسبي،[29] وأشهر تلامذته الشيخ عبد السلام الأسمر صاحب المزار العظيم والمشهد المهيب بزليطن.[30]

---

(26) Trimingham, the Sufi Orders of Islam, p 87.

(27) بن موسى، تيسير – المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني صـ 85-86.

(28) خشيم، علي فهمي أحمد الزرّوق والزروقية صـ 61-63.

(29) المنتصر – تاريخ مسراتة: منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العهد العثماني (مخطوطة)، صـ 39-40.

(30) خشيم – مصدر سبق ذكره صـ 63.
والى الشيخ عبد السلام الأسمر ينتسب كل أولاد الشيخ في ليبيا ودول الجوار – وفي مقدمتهم المصراتية – كأولاد سيدي فتح الله وابعيو وقويري وبوشعالة والجروشي والمطردي .. إلخ.

M&H

جامع ومرقد الشيخ أحمد الزروق

هذا وقد أجتهد ابن مصراتة التليد، الدكتور علي فهمي خشيم، وبحث سيرة الرجل، ونال بها رسالة الدكتوراه من جامعة دارهام البريطانية، وكتاب الدكتور خشيم يعتبر مرجعاً في "أحمد الزرّوق والزّرّوقية».



الشيخ
مصطفى بوعجيلة

على الرغم من أن الشيخ الزرّوق قضى بقية الخمسة عشر عاماً من عمر في مصراتة إلا أنه لم يبقى له من نسله ذريةً في ليبيا، فقد هاجر أولاده بما فيهم ابنته الوحيدة بعد وفاته إلى أرض الجزائر،[31] ومع هذا عُرف بعض الناس باسمه وبلقب خدام الزرّوق، وهم بعض تلامذته ومريديه، ومن أستوطن حول مرقد الشيخ الزرّوق من بعض عربان قبيلة الحسون الذين نزحوا من منطقة سرت، وعُرفوا حينها بالغزو والسلب والنهب، كما هو كان حال العربان، ولكن بعدها أعلنوا توبتهم عنده، وشايعوه، وسمو منذئذ بخدام الزرّوق مع آخرين لسهرهم على خدمة زوار قبره.[32]

ما أروع هذه أبيات لبعض أهل المحبة في **الشيخ الزرّوق**:

أزرّوق أهل الله في كل برهة ... ومأوى العفاة في اليسار وفي العسر

فلازلت للإحسان أهلاً وموطناً ... ومأوى الخصال الساميات لدى الدهر

عليكم من الرحمن أزكى تحية ... وأسمى مهابات إلى الحشر والنشر

وصلى الذي ولاك مجداً وسؤدداً ... على المنتقى المبعوث للسود والحمر

وآله والأزواج طراً وصحبه ... ذوي النجدة الفيحاء والسادة الغرّ

وينقل الدكتور خشيم عن العياشي في رحلته ما قاله أحمد الدائم الأنصاري في قصيدته التي رد بها على العبدري والتي أساسها **ألّف ابن غلبون كتابه الموسوم بـ «التذكار»**:

بها فضلاء ما الفضيل يفوقهم ... فوارس أنجاد وهم حماتها

قد اختارها الزرّوق داراً وموطناً ... كذا ابن سعيد مقتد بهداتها

ويزيد ابن طاهر الزياتي في تائية له:

(31) خشيم – مصدر نفسه صـ 65-66.

(32) اغسطيني، انريكو دي – سكان ليبيا [طرابلس]، تعريب خليفة التليسي، صـ 263.

نجم، فرج عبد العزيز – القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا صـ 154-155.

الطيب، محمد سليمان – موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية (5 مجلدات)، جـ 1. صـ 894.

اغسطيني، انريكو دي – سكان ليبيا]برقة[(تعريب وتقديم خليفة التليسي)، صـ 319.

مسراتة نالت على الأرض رفعة ... بزروقنا شمس البدور المنيرة

هنيئاً لمن زار الضريح بأرضها ... وطوبى لقوم قد حباهم بجيرة[33]

الـمدنيـة ..

أما المدنية فيرجع نسبها إلى الشيخ محمد بن حسن بن حمزة بن ظافر المدني، ولد بالمدينة المنورة سنة 1780م، توفي ودفن بمدينة مصراتة سنة 1846م،[34] ومازالت بعض ذريته من صلبه تقيم بمدينة مصراتة حول زاويته الشهيرة.



(34) خشيم، علي فهمي أحمد الزرّوق والزروقية (هامش) صـ 63–64.

34 Trimingham, the Sufi Orders of Islam, p 113.

الشيخ المدني أكثر مؤسسي الطرق الصوفية عُرف بمواجهته الحكام الجورة، وخاصة يوسف باشا القرمانلي،[35] وتبعه في ذلك خليفته الشيخ سعيد التباني، الذي لبى نداء الجهاد في تونس، ففاز بالشهادة هناك.[36] وقام برعاية شؤون الزاوية على نفس الوتيرة من بعده ابن مؤسس الطريقة، الشيخ محمد الظافر، في نشر الطريقة في شمال إفريقيا، والحجاز، وتركيا، كما كان له نشاطاً إيجابياً في دعم مشروع الجامعة الإسلامية الذي عرضه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني.[37]

لم يُسجل أول حضور ملحوظ للمتصوفة في المجتمع البدوي البرقاوي إلا للطريقة المدنية المصراتية، ومن بعدها السنوسية على يد صاحبها السيد الإمام محمد بن علي السنوسي الذي نجح في اختراق البدو وتدينهم، وأسس بينهم الطريقة السنوسية التي انطلقت من مصراتة وبعلماء من الغرب بما فيهم مصراتة كما سنرى لاحقاً.[38]

يوسف باشا القرمانلي، الذي «بهدل» الأمريكان، ومرغ أنوفهم في المتوسط، أراد حظوة لنفسه عند كبار العلماء وشيوخ الطرق الصوفية، ومشايخ قبائل المرابطين، لاعتقاده بربانية وقوة هؤلاء الدراويش، وإتقاء شرهم، وممن اتصل بهم يوسف باشا من أعلام الصوفية الشيخ محمد المدني، صاحب المدنية المعروفة، عندما رأى فيه الهيبة والاستقامة، فقربه يوسف باشا إليه بعد استقبال كريم حافل، وأبدى التزامه الكامل بعقائد الشيخ، مما أوغر صدور نظرائه من علماء، وشيوخ البلاط، الذين سرعان ما قلبوا يوسف باشا عليه، فرحل الشيخ المدني عن طرابلس إلى مدينة مصراتة،

---

(35) بن موسى – مصدر سبق ذكره صـ 87–88.
المنتصر – مصدر سبق ذكره صـ 41–42.
(36) القطعاني، أحمد سالم – القطب الأنور عبد السلام الأسمر صـ 12.
(37) المنتصر – مصدر سبق ذكره صـ 42–44.
(38) بازامه – تاريخ برقة في العهد القرمانلي صـ 232.

مدينة المحجوب والزرّوق، واستقر به المقام هناك.[39]

وقال الشيخ المدني لأحد خواصه: «إن يوسف باشا لن يفلح بعد الآن، فإن شجرته انقلعت من عروقها وفي الشمس طُرحت». وعلق على هذه الحادثة أحمد النائب في المنهل، فكتب: «.. **وقد كان الأمر كما ذكر، ففي أقرب وقت اختل نظامه، وقامت عليه القيامة، وندم، ولم تنفعه الندامة**».[40]



فكما ذكرنا بأن الطريقة المدنية كان لها السبق في التغلغل في برقة، ولكن لم توفق في الحوز على قلوب باديتها التي نالتها فيما بعد السنوسية، هذا وإن تواجد المدنية سواء بالنسل أو الأتباع في الشرق يبدو أكثر منه في مصراتة والغرب عامة، فتجدهم في إجدابيا وبنغازي ودرنة وطبرق، وحتى سيدي براني في مصر، وهناك قرية في مصر اسمها قرية ظافر. ومن القبائل التي انصاعت بالكامل للطريقة المدينة هي قبيلة الفواخر، فحول الشعر وأمراء قوافي البادية في ليبيا كلها، وبدون منازع، حتى أن السنوسية حينما أرادت

39 المنتصر – مصدر سبق ذكره صـ 41-42.

40 النائب – المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب صـ 355.

أن تزحف على إرث المدنية، ونجحت في ذلك، حيث أن مجمل قبائل برقة أصبحت من أتباع السنوسية، إما طريقة أو حركة، باستثناء بيت بوحليمة في الجرِارة، وبالطبع الفواخر الذين وصلت بهم النعرة المدنية إلى إعاقة بناء زاوية سنوسية في منطقة انتلات، ورجموها بالحجارة وهم يرتجزون: حيط الجنة .. هدمتنا ..

السنوسية ..

أما السنوسية فعندما ولى السيد الإمام محمد بن علي السنوسي من رحلته إلى بلده الجزائر بعد رحلة للمشرق الإسلامي، وجد بلده وقد احتله الفرنسيس، فقفل راجعاً للشرق فتوقف في مصراتة عام 1842م، فاستقبله الشيخ أحمد باشا المنتصر، وأكرم وفادته على عادة أهل مصراتة، ونقل لي أحد أحفاد المنتصر باعتزاز بأن السيد الإمام السنوسي كتب على دار المنتصر:

M&H

عز ما بعده ذل ..

غناء ما بعده فقر ..

منتصر على منتصر حتى قيام الساعة.



السيد الامام محمد بن على السنوسي

ومكث السيد السنوسي قرابة السنة عند السادة المحاجيب، ودرّس بخلوتها برهة من الزمن، وقيل إنه بنى أول زاوية للسنوسية في عهده في مصراتة، وكان حينذاك شيخها خليفة شنيشح، وأصله من ورفلة، واستمرت الزاوية على حالها تعلم القرآن الكريم وعلومه حتى بداية السبعينيات، ثم هدمت وبُني محلها جامع بلال بوسط المدينة. كما كان للسنوسية زاوية أولى هي الأقدم

بوسط اقزير، غير بعيدة عن بئر اقزير، ولازالت قائمة حتى يومنا هذا، لكن يد التطوير والترميم غيرت معالمها، فطمست الزاوية وأصبحت تستخدم الآن كمستوصف قروي، وعلى هذا لم يكتب للسنوسية الانتشار نظراً لقوة المنافسة من الزرّوقية والمدنية وأتباع المحجوب والآخرون. وقد قابلنا الشيخ أحمد عبد العالي السنوسي، وحكى لنا كيف كان آبائه وأجداده من جملة من استقبل وحضن السنوسية، بما فيهم السيد السنوسي المؤسس، وإن عمه الشيخ السنوسي عبد العالي درس في الجغبوب، وعاصر السيد المهدي، وقد عُرف عنهم جسارتهم وشجاعتهم التي لفتت نظر السويحلي، للعمل في أجندة رجل مصراتة القوي، حتى أنه أُثر عليه القول: "يا ريت قزير عدد الرملة".

وعندما رحل السيد الإمام شرقاً، ونزل بمنطقة المفلوقة ببنغازي (حيث السيلس بقرب المدينة الرياضية) خرج له أبرز وجهاء وأعيان بنغازي من أصول مصراتية، تقدمهم عبد الله منينه، ومحمد الكيخيا، وبن شتوان، واستقبلوه أحسن استقبال على غرار غيره من أركاب المغاربة، وقيل انه كان يتردد على بيت منينه، قبل أن يستلمه العواقير والمغاربة، ومن ثم الحرابي بقيادة الشيخ بوبكر حدوث، جد حسين بيّ مازق، الذي كان حينها شيخ مشايخ الجبل، وعمدة البراعصة، وقد قابل الشيخ الحدوث السيد الإمام أول مرة في بيت آل منينه.

هذا ومما وثق عرى العلاقة بين أحفاد المنتصر وأحفاد السنوسي الكبير ذلك حين أختار الملك إدريس، محمود بي المنتصر ليصبح رئيساً لوزرائه مرة قبل الاستقلال، ومرتين بعده، وهذا شرف وحظوة لم ينالها أحد غيره،

وهذا ما أكده دي كاندولي E.A.V. de Candole – المفوض العام للإدارة البريطانية في برقة – عندما نُقل عنه في عام 1965م القول : « بأن الملك يعتبر محمود المنتصر رئيس الوزراء الوحيد الذي كان دائماً محل ثقته، ونزيهاً، لم يمتلك جميع السابقين من رؤساء الوزراء هذه الميزات » .

M&H

والجدير بالذكر أن محمود بي كان وطنياً كبيراً، وأباً حنوناً، فله من الأحفاد في شرق البلاد وغربها ما لغيره، فهو من زوّج أغلب بناته في بنغازي، وواحدة فقط تزوجت في طرابلس، وهذا هو حال المصراتية في شبك البلاد بعضها ببعض، وهذا درساً لمن فينا معتل بداء الجهوية والقبلية .



الملك إدريس السنوسي ورئيس الوزراء
محمود المنتصر يوم اعلان الاستقلال

وقد اخبرني الحاج مصطفى بن حليم، وهو من درنة، الذي عمل تحت إمرة محمود المنتصر بأنه : من الكفاءات القلة، وإنه من بنى الحكومة، ووزارتها طوبة طوبة، في وقت كنا لا نبصر ولا نعرف شيئاً . أما غداة سبتمبر 69م، فقد

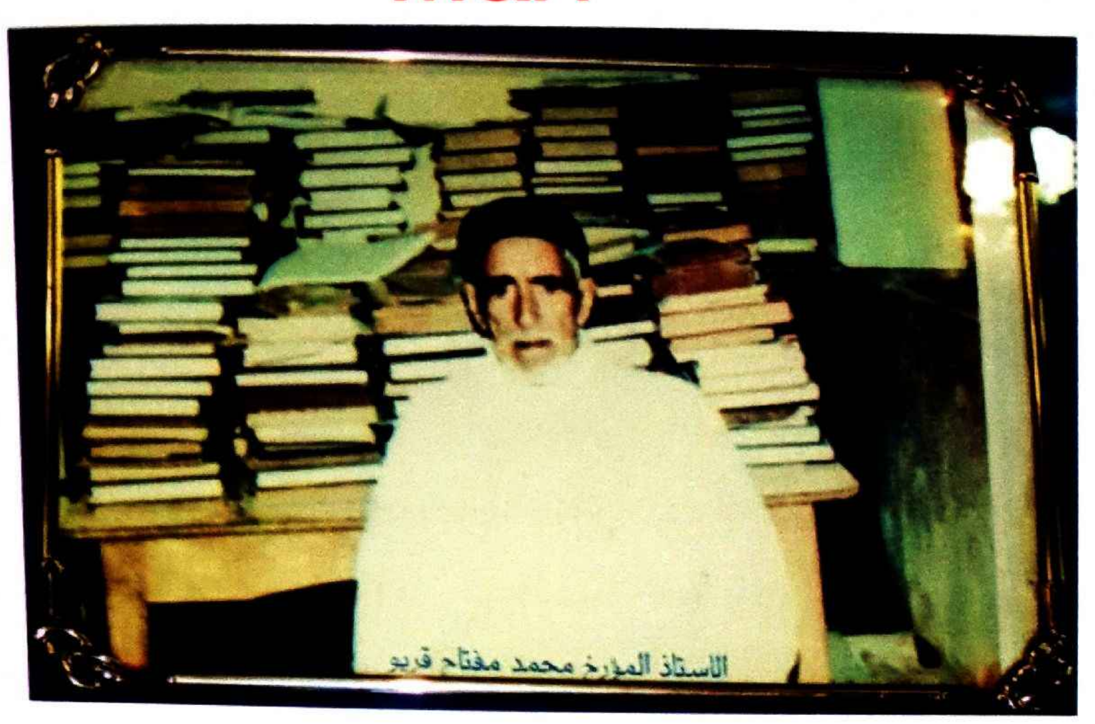
طاله السؤال والاعتقال كالبعض من رموز الحقبة الملكية، ولم تسعفه تجربته وإنجازاته الوطنية، بل حتى رذالة العمر، وأمراض السن، والمفارقة أن من بين السائلين الثوار كان مصراتياً، الرائد عمر المحيشي، ولكنه لم يتبصر، ولم يصبر طويلاً، فقد ثار بعد سنوات قلة على رفاقه الثوار، فأودع السجن هو أيضاً، وأشاعوا عنهما، المنتصر والمحيشي، بأنهما قد وضعا حداً لحياتهما في السجن، ولقد التقيت أحد سجناء رأي تلك الحقبة وقال لي: «أخبر آل محمود المنتصر بأن آباهم كان في السجن محموداً، ورجلاً قل نظيره في عصرنا الغائل».

يبدو أن المنتصر الجد عزز الإمام السنوسي بترتيب اصطحاب كبار العلماء من منطقة مصراتة إلى مقصده في برقة، حيث رافقه في رحلته للدعوة في ربوع البادية هناك عالمين جليلين كبيرين القدر والعلم هما: مصطفى المحجوب الذي تولى إدارة ومشيخة زاوية العواقير في طيلمون، ومصطفى الدردفي زاوية الحاسة في شحات، إلى جانب أحمد البوسيفي والسيد عمران بن بركة الفيتوري. وعلى فكرة فالسيد بن بركة هو جد السيد أحمد الشريف، والبوسيفي جد الملك إدريس، والمحجوب هو جد السيد صفي الدين.

الجـهـــاد ..

لأهل مصراتة فضل كبير في الجهاد كسائر الليبيين، ولا يستطيع أن يتنكر لذلك إلا جاحداً أو متحاملا، ولعل ما قاله الشيخ المؤرخ محمد مفتاح قريو في هذا الصدد أبلغ التعابير حين قال:

M&H



مصراتة ذات الرمال بلادي ... قد جاهدت في الله حق جهاد

شهدت لها إيطاليا وجنودها ... والحق ماشهدت به الأعادي

قد حاربت في ليبيا من غربها ... حتى إلى الشرق بدون هواد

وصحائف التاريخ قد حفظت لها ... أسمى جهاد رغم كل معاد

ما كان يخفى حربها وجهادها ... إلا على وغد من الأوغاد

وأيضاً ما شهد به العداء أفضل دليل على ذلك حين أُثر عن غراتسياني قوله: "بإن ليبيا أفعى، ورأسها مصراتة»، ولعل أكبر رمز لجهاد مصراتة هم آل الشتيوي أو السويحلي، ابتداء من رمضان لسعدون إلى إبراهيم ابن رمضان .. وكلهم قتلوا في ساحات الوغى وإن تعددت الأسباب والقتلة .. ولكنها ستبقى شواهد على تاريخ الآباء والأجداد وما رأوه من ابتلاءات وفتن وتخوين .. يقول الشاعر:

فأي شهيد أصلت الشمس جسمه ... ومشهدها من أصله متولد

وأي ذبيح داست الخيل صدره ... وفرسانها من ذكره تتجمد

البيّ رمضان السويحلي ...

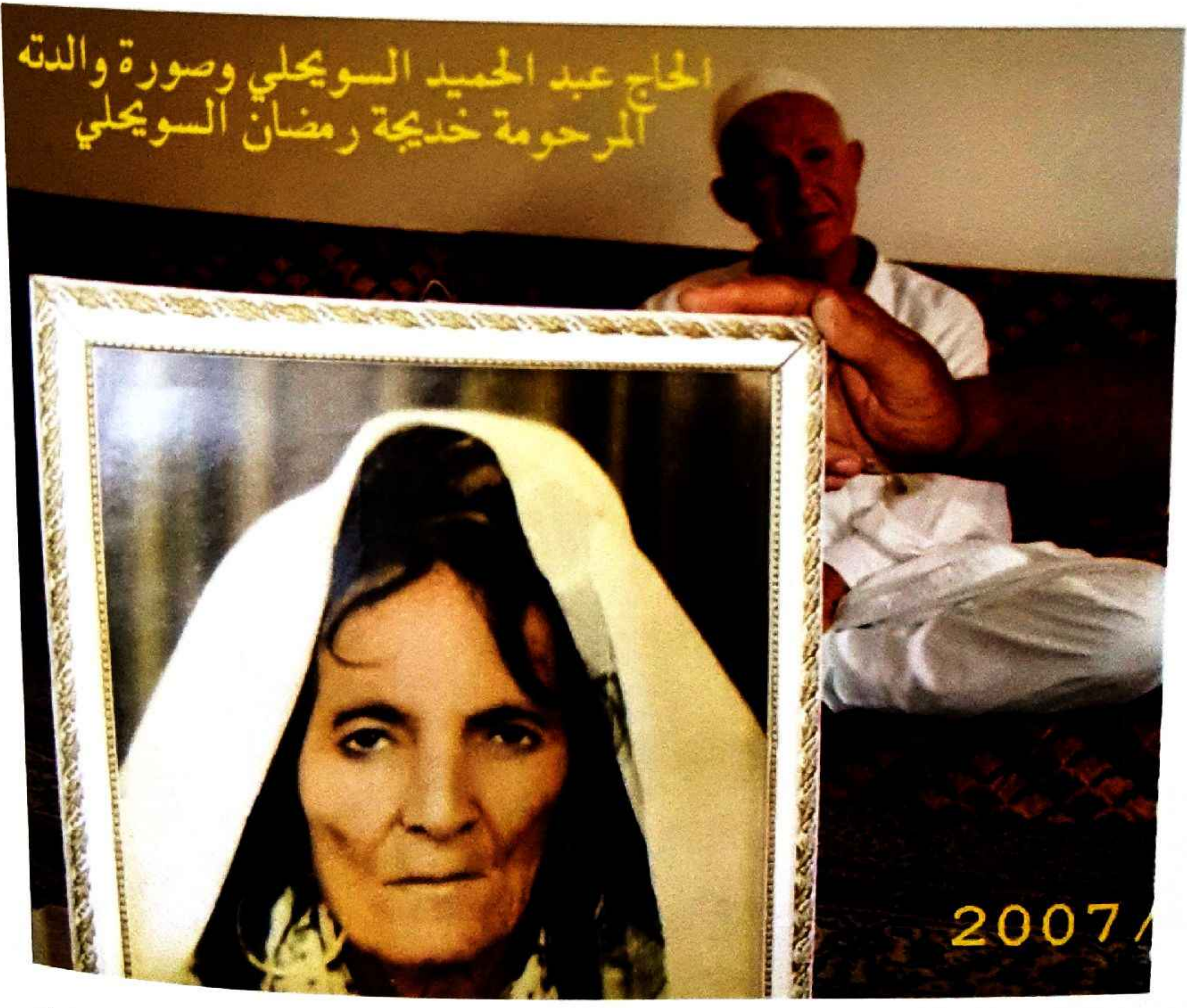


كان من الواجب مع رفيقي الدرب أن نزور آل السويحلي، وتحديداً في حي أم البخور بالمحاجيب حيث درس رمضان السويحلي في إحدى خلوات زاويتها على يدي الفقيه سويسي بن ضيف الله، من أولاد سيدي المحجوب، وعرف عن البيّ "تقديسه" لهذا الولي الصالح، حتى انه عندما كان يأتي مقام الشيخ للزيارة ينزل من على دابته مجرد ما يدخل حرمه، ويخلع نعله احتراماً وتقديراً للسيد المحجوب، ليعلو بعدها حتى استلامه القيادة بعد استشهاد الحاج أحمد المنقوش في صدهم لزحف الطليان على مصراتة، ومن ثم يصبح البيّ رمضان زعيم حكومة مصراتة، التي امتدت من قصر القره

M&H

بوللي غرباً إلى نهاية قصر سرت شرقا(1916م).

فقصدنا تحديداً بيت خديجة رمضان السويحلي، فاستقبلنا الحفيد، ابنها الحاج عبد الحميد أحسن استقبال في منطقة المحاجيب، والسويحلية أصلاً من منطقة وقبيلة يدّر، ولكن قصة انتقالهم فيها من الدم والثارات ما سنتجاوزه، فالحاج عبد الحميد، ابن المجاهد محمد فتوله السويحلي، وأخته أم السعد، وأخوه مفتاح، وهم الأحفاد الوحيدين لرمضان بيّ.



فقد أنجب رمضان بنتين، خديجة (1969-1905م) أم الحاج عبد الحميد، وعائشة ماتت صغيرة في دار الهجرة بمصر، أما ولده الوحيد، إبراهيم، فقتلته الباندات الليبية في صحراء سرت عام 1923م، ولم يتجاوز 20

ربيعاً بعد، وكانت أختيه في انتظاره حتى يرحلهنّ إلى بر الآمان، ولكن المنية سبقت، ولم يترك وراءه عقب، وكان ذلك بعد استلامه القيادة بعد استشهاد عمه سعدون في معركة المشرك عام 1923م، فبموته انقطع نسل رمضان من الذكور بعدما كان الرجاء والمؤمل:

رجوتك يا ولدي تعيش بعدي ... وتوسد جثتي رمس اللحود
وتمشي باكياً من خلف نعشي ... كما يبكي الوليد على الفقيد
ولم أنس النساء غداة فرت ... إلى نعش الشهيد بن الشهيد

أما سعدون أنجب سليمان وسكينة، وقد ماتا أيضاً بمصر، أما ابنه الوحيد الذي وهب الحياة فكان سالم الذي رجع من مصر وعاش وتوفي في حادث سير أليم في بنغازي منذ سنوات قليلة، وبمقتل إبراهيم أسدل الستار على معارك الغرب بقيادة السويحلية قبل انضمامهم إلى مجاهدي الجبل الأخضر بقيادة الشيخ الرمز عمر المختار.

وقد غمرنا السويحلية بكرمهم، وسبق لي وأن سامرت الحاج سالم سعدون في بنغازي برفقة ابنا بطلين كبيرين هما: الحاج محمد عمر المختار والحاج علي عصمان الشامي. وقد حدثني الحاج عبد الحميد فتوله على جملة من المفارقات، منها أن أخوال رمضان السويحلي هم آل كريك، وقيل أن أصولهم من جوازي برقة، كما أراني صورة نادرة كان فيها رمضان يشرف على استلام السلاح والذخائر بنفسه في منطقة العرعار على البحر من الأتراك عبر الغواصات الألمانية المتحالفة مع العثمانيين الأتراك، ومن ثم ينقلها إلى منطقة سيدي عبد الرؤوف حيث المخابئ و «المطامير» هناك، وكان برفقته

التهامي قليصة، ومعه في الصورة أيضاً، رفيق الجهاد عبد النبي بلخير، ولكن دارت الأيام عليهما وتقاتلا، فغزى رمضان السويحلي صديقه الذي كان بالأمس يقاتل معه العدو الصائل، فقُتل رمضان في بني وليد عام 1920م، ولم يتجاوز حينها الأربعين من عمره ..



يبدو من اليمين في منطقة العرعار بمصراتة كل من: ؟؟، ؟؟، رمضان السويحلي، آمر الغواصة الألماني، أحد الضباط الأتراك يلبس الطربوش، عبد النبي بلخير، ؟؟، ؟؟، والتهامي قليصة.

لقد قيل الكثير في مقتل رمضان السويحلي، ولم نصل للخبر اليقين بعد، بل حتى بعدما قرأت وسألت لم أجد من يعطيني الرد الشافي .. صمت غير مبرر .. وما بلغني إلا همسات في خفاء، ولهذا كثر علي القيل والقال ..

فقيل إن البيّ كان صائماً حين قُتل ..!

وقيل كان ظامئاً ..!

وقيل أن رأسه قُطع بعد قتله ..!

M&H

وقيل كان الرأس في طريقه إلى الطليان ليسلم عربوناً، ولكن رُد من وادي دينار بأمر من عبد النبي بلخير ..!

وقيل إن امرأة من مصراتة زوجاً لورفلي، تعيش في بني وليد، دفنت جثمانه حتى لا يمثل به ..!

وقيل: لا .. رموا بجثمانه في العراء ..!

وأغرب ما قيل هو أن الذي قطع الرأس في بني وليد كان مصراتياً منتصرا ..!

والأكثر حيرة هو ما قيل في أن قبره كان ومازال مجهولا ..!

وقيل أنه اكتشف مؤخرا ..!

وقيل أن جثمانه جيء به مع كل من بشير السعدواي من بيروت، وسليمان الباروني من بومباي، ودفنوا جميعاً في مقبرة الشهداء بطرابلس عام 1973م ..! وللعلم لم يكن أحدهم طرابلسياً، فالباشا الباروني امازيغي من جبل نفوسة، والزعيم السعداوي والبيّ السويحلي مصراتيان، وإن كان موقع رأس السعداوي والتنشئة بالخمس.

لهذا كان سعدون شخصية عسكرية قتالية محضة، لا غبار ولا استفهام عليه خلافاً لأخيه رمضان الذي أثار، رحمه الله، ومازال كثيراً من اللغط حول سيرته بين الناس، خاصة خارج مصراتة، لأنه كانت عليه تحفظات من السيد أحمد الشريف، وكان على خلاف مع السيد صفي الدين السنوسي بعد معركة القرضابية، وشنق البيّ لمشايخ السنوسية في مصراتة، وكذلك خلافاته مع زعامات الجوار كـ صالح لطيوش (المغاربة) أحمد المريض (ترهونة) ومحمود عزيز (زليطن) ومحمد القاضي (مسلاتة)، وعبد النبي بلخير، ما أدى إلى قتله.

لهذا افترق القوم بين تقديس وتدنيس، فأصبحنا في رمضان السويحلي بين مفرط غالٍ، ومبغض قال .. وسأنقل لكم بعض أوجه الرأيين، واترك للقارئ الاستنتاج، وأؤكد على أن الموضوع لم يُفصل فيه بعد، فمازال كما هي رمال صحرائنا المتحركة، لأن الأقلام لم تجف، والصحف لم ترفع بعد، في هذا الموضوع، الذي يتحاشاه كثير من أهل الاختصاص، لما فيه من حساسية بولغ فيها بين إفراط وتفريط، ولكن ما استطيع تأكيده أن رمضان السويحلي لم يكن في نجاسة الشياطين ولم يكن في طهر الملائكة، إنما عبداً من " .. **أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ..».

وفي هذا الخضم كتب الشيخ المفتي الطاهر أحمد الزاوي رحمه الله: " **.. إن الذين يحاولون نسبة النصر الذي أحرزه في القرضابية إلى غير رمضان السويحلي، إما أنهم لم يفهموا الحقيقة، وإما أنهم مغرضون، لا يعترفون بالفضل لأهله، ويريدون أن يحمدوا بما لم يفعلوا، ونعود ونقول:**

إن بطل القرضابية هو رمضان السويحلي، ورمضان السويحلي وحده».[41]

بينما كتب الأستاذ محمد سعيد القشاط: « .. **هذه هي معركة**

(41) الزاوي، الطاهر أحمد ـ جهاد الأبطال في طرابلس الغرب صـ 214.

راجع: بحثنا بعنوان «الشيخ الطاهر أحمد الزاوي: سيرة مؤرخ ومسيرة مزاج»، نُشر في مجلة عراجين في عددها الثالث ـ يناير 2005م، وأيضاً في كتابنا «تراجم ومقالات».

القرضابية، إحدى معارك الجهاد الوطني الخالد، قادها أبطال مغاوير يجب أن يبقوا علامات مضيئة في تاريخنا الوطني:

أحمد سيف النصر - صفي الدين السنوسي - صالح لطيوش". [42]

يظهر أن البيّ رمضان كان متوجساً من محيطه .. ولهذا تجسر .. فبدا



صالح لطيوش — صفي الدين السنوسي — أحمد سيف النصر

عنيداً .. لا يرجع في رأيه، حتى أن أحد الضباط الصغار الإيطاليين الذين كانوا مع القائد الإيطالي الكبير كارلو كانيفيا، [43] بعد احتكاكه بالمجاهدين وتمرسه، كتب في مذكراته التي نقل عنها الصحفي الايرلندي الذي كان ضد الحرب قائلاً: **لو اتحدت جرأة رمضان السويحلي ودهاء عبد النبي بلخير لما غادرنا أسواق مدينة طرابلس**. فهذه المقولة تكفي هذين الرجلين رحمهما الله.

وقد أكد لي الأستاذ الباحث فرج لاغا، والمرحوم أصوله مصراتية، في حوار نشرته في كتاب بعنوان «أبطال وملاحم»: «**إن رمضان السويحلي**

---

(42) القشاط، محمد سعيد - القرضابية ص63.

(43) يعتبر كانيفيا موحد ليبيا بأقاليمها الثلاثة (طرابلس وبرقة وفزان) وسماها ليبيا عام 1917م، عندما كانت قبل ذلك تعرف بطرابلس الغرب.

M&H

عُرف بأسلوبه الحازم والقاسي »، فأخبرني: « بأن رمضان كان رجلاً رهيباً، لا يهاب أحداً، ولا يعرف الحلول الوسطية ».

فهذا كله يشير على أن رمضان السويحلي كان فحلاً .. شديداً .. لدرجة الإفراط، وعلى أنها ثقافة عصره، ومقتضيات قيادته يا سائلي، فقد لاذت به الحساسيات من كل مكان، بينه بين الجوار، وحتى مصراتة وخاصة آل المنتصر الذين كانوا القادة التقليديين لمصراتة، وهذا الغبش ألم بسيرة الرجل، وخاصة دوره في القرضابية ليومنا هذا، حتى أن أحد المهتمين كتب ذات مرة بعفوية المحايد: **أن رمضان دخل القرضابية باندة وخرج منها بطلاً**، فأثار ذلك حساسية، وجدل بين بعض المرهفين.

يصف بعض المحايدين في مصراتة إلى أن التنافس بين آل المنتصر وآل السويحلي غير شريف، ولكن القاصمة كانت مع السنوسية، وفي هذا الصدد لن استشهد بالسنوسية أو شيعتهم في برقة، ولكن انقل ما كتبه السيد بشير السني المنتصر (المصراتي) في هذا الصدد:

« .. بعد احتلال إيطاليا للمدن الرئيسية، قامت بتأليف جيش من الطرابلسيين لمحاربة السنوسية في برقة، وعرضت إيطاليا أمر قيادة المجندين الطرابلسيين على عمر باشا المنتصر وأبناؤه، وكانوا يتولون مناصب قائمقام في مصراتة وسرت في العهد العثماني، ولكنهم رفضوا، لأنهم من أتباع طريقة الإخوان السنوسيين الدينية منذ قدوم السيد السنوسي الكبير من الجزائر، ونزوله عند عائلة المنتصر في مصراتة، وهو في طريقه إلى المشرق للحج، وأقامته بعد رجوعه من الحج في برقة.

وقيل إن عمر باشا المنتصر قال للإيطاليين: لو أعطيتموني الدنيا

وما فيها فلن أحارب الأشراف السنوسيين. وكان معروفاً بأنه يحترم ويخاف من الأشراف و(المرابطين). وبعد ذلك لجأ الإيطاليون إلى رمضان السويحلي خصم عمر باشا المنتصر وأولاده .. وعرضوا عليه قيادة المجندين الليبيين فأستغل الفرصة، وقبلها للتخلص من مضايقة خصومه، وبعد ذلك انقلب على الجيش الإيطالي مع غيره من المجندين الطرابلسيين في معركة القرضابية المشهورة، حيث هُزم الجيش الإيطالي هزيمة نكراء، ورجع رمضان الشتيوي منتصراً إلى مصراتة مع السيد صفي الدين السنوسي، ثم أختلف معه، مما دفع صفي الدين إلى السفر سراً إلى برقة، تاركاً مصراتة في أيدي رمضان الذي أعلن نفسه رئيساً للجمهورية.

وقامت إيطاليا قبل انسحابها من مصراتة تحت ضغط المجاهدين بنقل أعيان مصراتة كسجناء، كما سافر عمر باشا المنتصر وأولاده إلى طرابلس التي كانت تحت الحكم الإيطالي، بينما بقي بعض أفراد عائلة المنتصر في مصراتة، وتعاونوا مع رمضان السويحلي، وحصل نزاع بينهم وأبناء عمر باشا المنتصر، وصل إلى درجة القطيعة والتآمر، وذهب بعضهم مع رمضان الشتيوي في حملته ضد ورفلة وعبد النبي بلخير التي قتل فيها رمضان، بينما كان عبد القادر المنتصر وعبد العظيم المنتصر يحاربان مع عبد النبي بلخير ضد جيش رمضان الشتيوي. وأدت وفاة رمضان الشتيوي إلى خلاف كبير بين زعماء طرابلس من المجاهدين، وانقساماً استغلته إيطاليا التي كانت تشجع أحدهما على الآخر، وتمدهم بالمال والسلاح، وتخصص لهم مرتبات ومساعدات ..».[44] (انتهى).

كان رمضان السويحلي - كما يبدو - رجلاً يجمع أكثر من شخصية

(44) المنتصر، بشير السني- وقائع وأحداث بدون رتوش أو خدوش، موقع أخبار ليبيا (2007).

في آن واحد، فمن تجلياته أنه في كثير من الأحيان كان رؤوفاً بقدر ما كان قاسياً، حتى أن قيل إن إيطالية أُسر علجها عند رجاله، فقصدت رمضان لفدية زوجها، فجبر بخاطرها، ولبى طلبها، فأطلق سراحه، شريطة أن لا يعود ثانية لمحاربتهم.

كما كان عادلاً في نظر كثير من المصراتية، فقد أكد لي البعض بأنه كان يؤمن بالقضاء المستقل،



M&H

ولا يتدخل فيه، وكان يسهر على ذلك بنفسه، فكانت له فَرسان، سوداء، لحلك القتال، وحمراء، للتجوال في السوق .. متفقداً الأسعار .. ممتشقاً بيده السوط .. لإنزال العقوبة بالمخالف، فعلى سبيل المثال كان يتفحص الميزان، بل يحشر يده داخل القصب حتى يتأكد من عدم تبلله بالماء، مما يزيد في وزنه عن الأصل، ويجلس في السوق على حصيرة يسمع شكاوى الناس ومظالمهم.

ولكن من الأمور التي أفسدت العلاقة بين رمضان وقيادات وأتباع

السنوسية تنفيذ حكم الإعدام في ثلاثة من الإخوان السنوسية، وهم أحمد التواتي (أحد قادة القرضابية) ومفتاح الزوي وعبد الله الأشهب، وقام بدفنهم بدون غسلهم أو حتى الصلاة عليهم أو كما هو متواتر عند السنوسية، وللعلم أن القاضي الذي أصدر حكم الإعدام هو الشيخ السنوسي عبد العالي، علماً بأنه كان سنوسي التعليم والطريقة في مصراتة، ولكن تعليله كان أن ولاية وطاعة ولي أمر الديار مقدمة على الطريقة، ومع هذا كله استمر في سنوسيته.

عُرف عن رمضان السويحلي جزافه وتجاربه المثيرة، فعندما استشعر قوته في المنطقة، أراد أن يعزز سلطانه، فامتد شرقاً ليبسط نفوذه على برقة البيضاء، ولكن منعه لطيوش ورجاله بقيادة الشريف الحرنة، الذي اصطدم برجال السويحلي، فرجعوا من حيث أتوا، ولكن بعدما قتل الشريف الحرنة في المعركة، ليخلفه أخيه امهدي الذي تكفل بردهم إلى أن دخلوا حدودهم. وهذا عزز شكوك كثير من أهالي المناطق المتاخمة، وخاصة الشرقية، في نوايا رمضان وجهاده للمستعمر بل يجزم البعض بإنه كان رجلاً قبلياً، وزعيم محلة على عكس أخيه سعدون الذي يجله أهل برقة، حضراً وبادية، كشهيد من شهداء الجهاد المقدس. وهذا الرأي يجد قبولاً لدى المحلات المجاورة التي عانت من سطوة رمضان السويحلي لا سيما ورفلة بني وليد .[45]

تفاقم الصراع بين صالح لطيوش ورمضان السويحلي على صحراء سرت إلى تقسيم عربان المنطقة الوسطى، فلم يكن لطيوش أقل عناداً أو شدة من السويحلي، فقد كان لطيوش صعب المراس أيضاً، حيث عُرف بين رجاله بـ

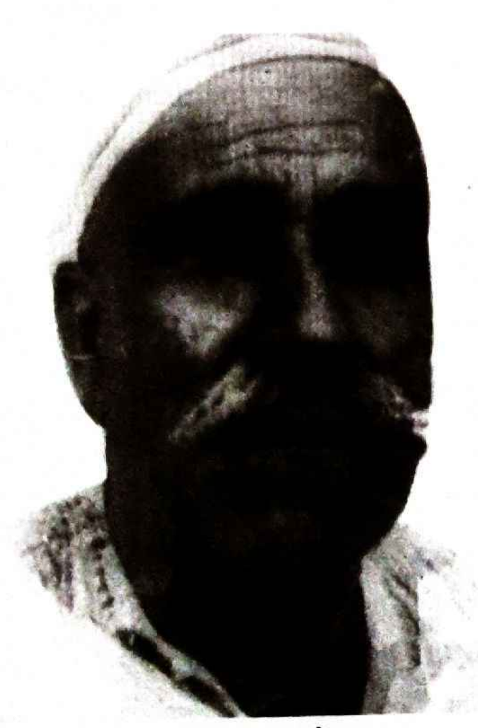
(45) راجع: العيساوي، محمد الأخضر – رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، صـ54-35، 48، 64.

«الأشكل»، أي الرجل صاحب الإشكال أو المشاكل، ولعل القصد منها هو ليس إفتعال المشاكل بقدر حلها بطريقة أو أخرى حتى وأن كانت عنفية، ولسوء حظ ضفتي صحراء سرت أن اصطدم رجالها في وقت كانت فيه أحوج إلى الوحدة والتكاتف بينهما، واحتدم الصراع بين الإخوة الأعداء، وزاد الطين بللاً بتدخل الشعراء، وهذا ما جسده هجاء الشاعر ناصر بوعثكلة الحسوني لأهل برقة، في دفاع مستميت عن رمضان السويحلي ضد صالح لطيوش، ما أدى بصالح لطيوش إلى تعميم ما قاله خصومه، وخاصة هذه القصيدة لبوعثكلة التي طرحها على شعراء برقة الموالين له، فرد بقوة على جماعة السويحلي أمير شعراء بادية برقة خالد رميله، لسوء حظ بوعثكلة، مما كفى به غيره.(46)

كان رمضان السويحلي .. رحمه الله .. يتجشم الصعاب .. لا تلين له



عبد النبي بلخير



صالح لطيوش

(46) نجم، فرج عبد العزيز – سير الأجداد بين الابتلاء والغبن والتخوين صـ 58-56.

قناة .. عُرف عنه الاعتزاز بالنفس .. وحبه للمنافسة .. وخاصة للسنوسية، حركةً ورجالاً، فلم يُذكر أنه اعترض على الطريقة أو الدعوة السنوسية، ولكن سياستهم ولواحقها، فلم يعترف بفرمان السلطان العثماني القاضي بتعيين السيد أحمد الشريف كنائب للسلطان في أفريقيا وقائد لجيوشها، ولم يلتزم بتطبيق القوانين والنظم العثمانية في هذا الشأن، وقد استعرت نار الفتنة بينه وبين السنوسيين وتأججت في أواخر عام 1918م.

M&H

خلافات السويحلي مع الضباط العثمانيين كانت معروفة ومعلنة كنوري باشا وإسحاق باشا، وكذلك خلافاته مع آل سيف النصر في هذا الصدد،[47] الأمر الذي حذا بالسويحلي لدرجة تدبير أمر القضاء على قافلة مبعوثة للسيد أحمد الشريف، كانت في طريقها لنجدة السيد من الشر والمجاعة اللتين وقع فيهما، مما أدى إلى قتل أفراد القافلة، ومصادرة ما فيها من أرزاق، حسب الرواية المتواترة المشوبة بشيء من العلل والخلل، ولكن هذا ما شهد به قاضي مصراتة، الشيخ محمد بن حسن عبد المالك،[48] فقال :

".. كنت أنا ومن معي وقت وقوع هذه النازلة الشنيعة بمعية السيد أحمد الشريف السنوسي، وقد بلغتنا قبل بلوغها للسيد بخمسة أيام، وكتمنا أمرها، حيث أن من حاشيته من يزين له أعمال رمضان، فلو سارعنا بإبلاغها وقتها، لقيل لنا أننا مفتنون، فوكلنا أمرنا للأيام والليالي[49]

(47) هويدي، مصطفى علي – الحركة الوطنية في شرق ليبيا، صـ167–166، 170.

(48) راجع: العيساوي، محمد الأخضر – رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، صـ54

(49) هويدي، مصطفى علي – الحركة الوطنية في شرق ليبيا، صـ164.

وللتنويه والإضافة فقد أخبرني صديق مصراتي بأن من قطع طريق قافلة السيد أحمد الشريف، وقتل الرجال كان: الكومندار الجمل ..؟ من منطقة الرملة، وقد أراد البيّ رمضان

ينقل الدكتور المفتي عن الحاج علي عبد المالك حفيد القاضي المذكور أعلاه : **بأن الشيخ محمد عبد المالك استقال احتجاجاً على إعدام الشيخ التواتي مبعوث السيد صفي الدين، وترك الشيخ القاضي مصراتة وأخذ معه أسرته، وللانتقام بعث السويحلي بجند قاموا بقطع أربعمائة نخلة في سانية القاضي.**[50]

وهذا يحتم علينا بحث ودراسة سيرة هذا الفارس الكسير بتأني وشفافية، وبعيداً عن الحساسيات الجهوية والقبلية.

في حين يتناسى البعض أن رمضان السويحلي على الرغم من منافسته للسنوسيين قال ذات مرة: "**أنا أفضل أن أكون في جانب السنوسيين على إيطاليا**»، ولم يدرك الطليان هذا، إلا في قصر بوهادي (القرضابية) التي كانت رداً على المهانة التي لحقت بالطليان جراء هزيمتهم في فزان، حيث استرد المجاهدون مدينة مرزق، مركز فزان الرباط والاستبسال، وكانت مرزق الشرارة التي توالت بها النكسات والنكبات على الطليان، وبينما كان أجدادنا البواسل يجودون بالدماء، ويكتبون أمجاداً في الصحراء، ويرزقون الشهادة في وطيس يوم القرضابية، انضم رمضان (ومعه ألف رجل من محلة مصراتة) بفطنة إلى المجاهدين..

« فصاح في رجاله: .. اضربوا ..

الاقتصاص منه وقتله، ولكن والدة رمضان أقسمت عليه بأغلظ الأيمان بأنها ستقطع الثدي الذي رضع منه ..؟ إذا ما مس الرجل بسوء، فيما يبدو محاولة أخيرة وحاسمة لوقف نار الفتنة التي كانت مصراتة في غنى عنها.

(50) مفتي، محمد محمد – الوطن الذي يسكننا (هامش) صـ111.

فسأله احد رجال حملته: نضرب خوتنا المسلمين ..؟
فقال رمضان: وين تبوا تضربوا .. اضربوا ..

وفي رواية أخرى صاح رمضان في أصحابه:

خوتكم المسلمين منصورين، واضربوا يا كلاب..
ومن ثم انطلق احد رجال رمضان، واسمه محمد النتير العامري، على جواده ويصيح:
الجهاد يا رسول الله .. يا مسلمين الله الجهاد .. (51)

فُوجهت فوهات بنادق المصارتة إلى صدور الطليان، التي أُريد لها أن تكون ناراً وحمماً على الأهل والأحبة، ولكنها كانت كالماء البرد على القلب الظمآن، ما أثلج صدور المؤمنين، وكانت تلك كارثة نزلت بالنصارى، وأدت إلى هزيمة ايطاليا في معركة القرضابية الشهيرة، فهاهو رمضان السويحلي ينقلب على الطليان ليقصم ظهر البغاة بعدما جاء ضمن جيش من المجندين من مصراتة وترهونة وزليطن ومسلاتة وورفلة، يقودهم العقيد انتونيو مياني، الذي أرغم أو أغرى بطريقة أو أخرى كل من رمضان السويحلي ليقود جيش مصراتة، والساعدي بن سلطان والمبروك المنتصر على جيش ترهونة، وكذلك محمود عزيز على جيش زليطن، وعبد النبي بلخير على جيش ورفلة .. الخ،(52) وإن كان عبد النبي قد انسحب من المعركة بدهائه المعروف مسرعاً نحو ورفلة، بعدما أعطى البنادق بذخائرها للمجاهدين، فقد ظن

(51) القشاط، محمد سعيد – القرضابية صـ39.

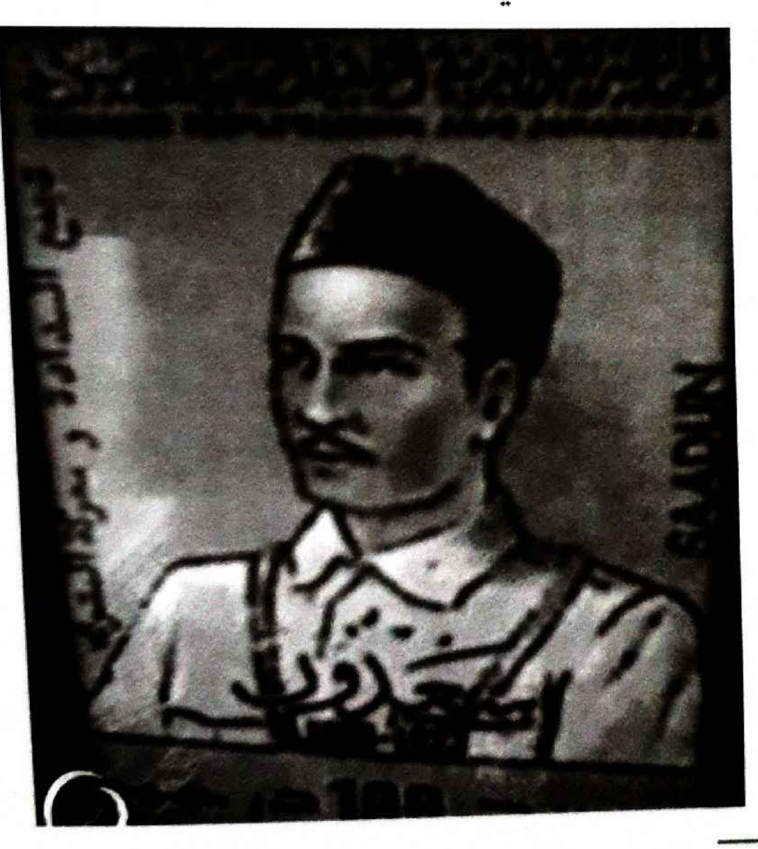
(52) راجع: مدلل، أحمد عطية – معركة القرضابية 1915م صـ49.

الطليان بأن هؤلاء القادة سيكونون أصدقاء أوفياء لهم ضد السنوسية [53] .. التي تمثلت في القادة أحمد سيف النصر وصفي الدين السنوسي وصالح لطيوش[54] .. ولكن هيهات تموت الحرة، ولا تأكل من ثدييها.

القرضابية .. يا يوم مفاخرنا   بك تزهو وتفتخر الأيام

سعدون المجاهد الشهيد ..[55]

اختلاف رمضان السويحلي عن أخيه الصغير سعدون يكمن في أن الأخير



M&H

(53) راجع: العيساوي، محمد الأخضر – رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار، صـ 28-31.

(54) القشاط، مصدر سبق ذكره صـ 57، 63.

(55) صورة الشهيد سعدون منقولة عن تغطية للأستاذ أبوبكر البغدادي بعنوان «معرض الجهاد الوطني الأول بمصراتة» في موقع جيل بتاريخ 4/2/08م.

أخذ الأصول العسكرية من المدرسة التركية، بينما رمضان كان مقاتلاً فطرياً وقائداً بالغريزة. فسعدون تمرس مع خريجي الكلية التي أنشأها نوري باشا في منطقة الملايطة بمصراتة، حيث جامع الغلابنة، الذين لمع من بينهم ابن غلبون، ذاك المؤرخ العظيم الذي يُعتبر أول ليبي وضع سفراً يحوي تاريخ ليبيا، وأخبار أهلها، حكاماً ومحكومين، وقد زرنا أطلال المدرسة النورية، والجامع الغلبوني، اللذين تمنينا على هيئة السياحة والجمعيات التي تعنى بالتراث أن تلتفت إليهما، وتعيد ترميمهما، هذا وقد قيل إن سعدون من أوائل من تخرج من تلك المدرسة، وتعلم الفنون القتالية الممنهجة.

سعدون لم يقابل الطليان إلا في ميادين القتال أو أسيراً سنة 1915م، بعد معركة القرضابية التي لم يشترك فيها، ولكن قبض الطليان عليه وعلى أخيه أحمد، انتقاماً من شقيقهما الأكبر رمضان، وتم نفيهما إلى جزيرة ساراكوزا بإيطاليا لثلاث سنوات، فكان سعدون أصغر المنفيين والمعتقلين من مصراتة، ومن ثم أُفرج عليه عام 1918م بموجب اتفاقية تبادل الأسرى بين الطليان وأخيه رمضان.

ولعل تفسير عدم لقاء سعدون بالطليان ما كان يردده أحد خيرة ضباطه، وأحد معاونيه، الشهيد عبد العاطي الجرم الحسوني، الذي كان يردد بيت شعر قاله المجاهد البطل محمد سوف المحمودي الذي يقول فيه:

دابين راسي حي فوق ظهر احصاني ما يسكن المسلم مع النصراني

قاتل سعدون الطليان في معركة الساحل، السلحيبة (النقازة)، والمرقب، وفي حيشان المقاصبة، وفي معركة يوم السبت التي استشهد فيها البطل عبد العاطي الجرم دفاعاً عن قصر حمد، وتميز سعدون عن رمضان بعلاقاته الطيبة مع الجميع، فقد كان سكرتيره علي المتجول، من بنغازي، وكان

حوله شهداء أحياء من الجبل الغربي والزاوية الغربية والصيعان ومناطق الجوار كزليطن وقماطة .. إلخ، ومن ضباطه عبد السلام الشرقاوي (من بيت غيث في العبيدات)، هذا وقد طلب سعدون النجدة من ورفلة، فلم يبخلوا عليه، وهذا ليس بغريب على ورفلة، فلا يستغني أحدهما عن الآخر، لكثرة الاختلاط بين مصراتة وورفلة، وتشابك النسب بينهما.

ففزعت ورفلة ذات الشيم الأبية، والأبطال والشهداء، كرقيدي قمم الجبال الشامخة، الشهيد قضوار السهولي على قمة جبل عافية، والشهيد الفقيه محفوظ الحجازي على الجبل الأخضر، وغيرهما .. رجال كالصقور المنصورة .. لا تنزل إلا منازل عالية و «مقيومة» .. وصدق الشاعر عبد الواحد الجنجان الذي قال في أجواد ورفلة قصيدة طويلة منها:

سلامي علي جملة جبا ورفلة   كبار الذما يومة دعاك الغدّة

ووقف مع سعدون تحديداً الطبول من ورفلة، وما أدراك ما الطبول، صناديد وأصحاب مواقف مشرفة، خاصة يوم القرضابية بقيادة البطل حمد سيف النصر، فأرسلوا الإبل والرجال لمساعدة سعدون.

اللافت للنظر أن سعدون رفض الثارات، وخاصة من قتلة رمضان، وبذلك وأد الفتنة، كما رفض الهجرة، وأصر على الشهادة، ففاز بها وهو يقاتل في معركة المشّرك سنة 1923م، وكان في الثلاثين من عمره، ودفن سعيداً وحيداً بجوار قارة السدادة، وكان من بين من استشهد معه محمد الدكام الطبولي،[56] وعندما استشهد سعدون بكاه الناس لفروسيته، ولكن كان لنحيب الحرائر صداه،

M&H

خاصة تلك التي قالت:

حيه صبحيه .. حيه صبحيه

(56) راجع: المصراتي، علي مصطفى سعدون البطل الشهيد ص 217، 244، 275-267.

قبل البيت منور دافي
تمه يهبهب ريح عليه

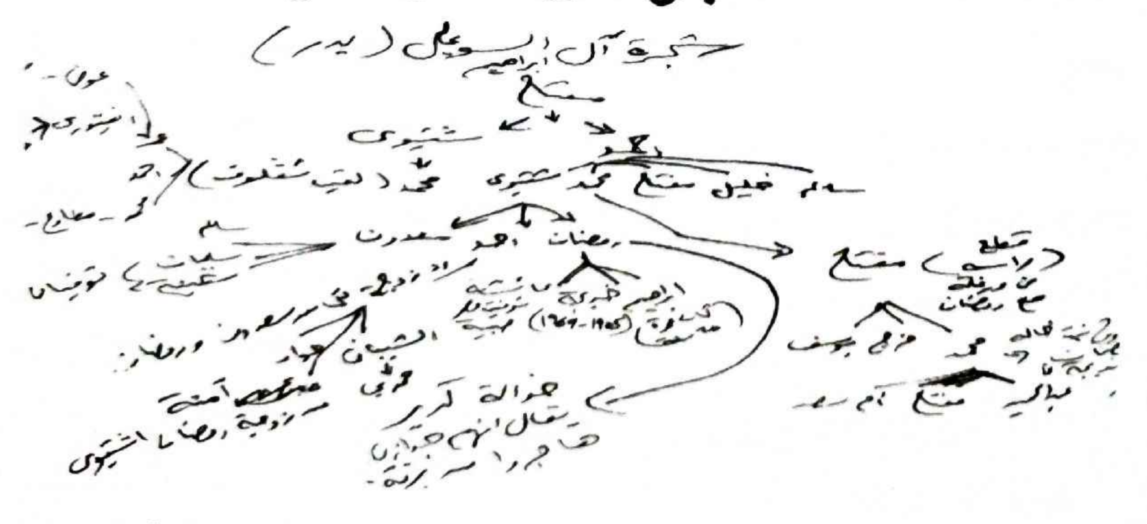
وأخرى تبكي حال آل السويحلي بعدما كانت لهم الصولة والجولة في المنطقة .. هاهم اليوم لاجئون .. شُرد .. لا كفيل لهم .. ولا محام .. فقد ذُبح رمضان .. وقُتل سعدون .. وهاهو إبراهيم الذي لم يدخل عقده الثالث بعد .. يسقط مضرجاً في دمائه .. فتبكي ثكلى .. وتنوح مفجوعة بصوت عال:

اللي طاح جابر البيت .. اليوم يا مخاميس افزعن

وباستشهاد سعدون ومن ثم إبراهيم، وتلك كانت سنوات عصيبة، قريبة من بعضها، أثخنت بجراحها المتتالية ليس فقط آل السويحلي بل الوطن المنكوب ..

سبق وأن أوعز إبراهيم ابن رمضان إلى نصف عرب مصراتة وحلفائهم، بالهجرة، وخص السويحلية، ليتفرغ للقتال، وقال البقية تبقي، لآن الوطن

شجرة آل السويحلي



أُخذ، والأرزاق شُحت، فلجأ رجاله المقاتلين بعد استشهاده بقيادة عبد الهادي القماطي إلى الجبل الأخضر، فدعاهم القائمقام الفضيل بوعمر بإيعاز من الشيخ عمر المختار، ورحب بهم، وطلب منهم الانضمام إلى إخوانهم المرابطون للطليان في تلك الهضاب والوديان، ففرح فرسان مصراتة، وتناسي ما كان بينهما من حزازات وعُرفوا بعدها في برقة بـ طابور السويحلية، إكراماً لقيادة آل السويحلي لهم، وأحياناً تسموا بـ عرب مصراتة أو عرب الغرب .. وإن تعددت الأسماء فهي أخوة الدين والوطن والعهد، ونال من حالفه الحظ منهم الشهادة على سفوح الأشم الأخضر، والبعض هاجر مع إخوانهم البرقاويين إلى مصر، وتوزعت إقامتهم بين الإسكندرية والعامرية والحمام ومطروح والسلوم، كما أقام بعضهم في القاهرة والصعيد،57 وبعضهم واصل مسيره إلى فلسطين لمقارعة الإنجليز هناك، حتى قيل إن الكومندار عبد الهادي القماطي استشهد في فلسطين .. هنيئاً له .. هذا وقُدر عدد "السويحلية" بحوالي 170 إلى 200 مقاتلاً من مصراتة، وقد انضمت هذه القوة تحت قيادته الشيخ عمر المختار مباشرة، وتسمت بطابور المعية.

وأرادت إيطاليا إذلال أهلنا بفرض التجنس على الليبيين بالجنسية الإيطالية، ففي مصراتة انبرى لها العلماء مثل رمضان بوتركية واحقيق والمغراوي وبوالنصر والميساوي، ورفضوا أن يصادقوا على تلك المراسيم بطبع أختامهم عليها، وأصرت إيطاليا على ذلك، وأرادت لهم الإعدام، ولكن نجّى الله، ومُكن لهم، بتراجع الحاكم الإيطالي،

حتى أن الشاعر حنيش قال فيهم :

وطني برزوا فيه فحوله .. ما طبعوا له .. تبعو قول الله ورسوله

(57) المنتصر، محمد حسن، الصلات التاريخية بين مسراتة ومصر، نشر في موقع ليبيا جيل - الثلاثاء 16 مايو 2004م.

وحتى في ديار الهجرة عاش المصراتية مع بقية إخوانهم بكرامة وكبرياء على الرغم من ضيق اليد، وعندما أزفت الساعة لتحرير الوطن تناسوا الماضي الشائك، ولبى بعض قياداتهم ووجهائهم النداء، فانضموا إلى مشاورات الإسكندرية والقاهرة، ما أدى إلى تأسيس الجيش السنوسي في التاسع من أغسطس 1940م، الذي تحالف مع الفيلق الثامن البريطاني لمحاربة قوات المحور (إيطاليا وألمانيا) في مصر وليبيا، وكان في مقدمتهم أحمد اشتيوي السويحلي،58 شقيق رمضان وسعدون، وعلي محمود لاغا، والأخوين حسين ومحمد عبد المالك، وكذلك علي عبد المالك الفقي، وهو منطقة الرملة في مصراتة، الذي نال شرف رفع علم الجيش السنوسي لأول مرة في منطقة الكيلو 9 بالقاهرة، ويجب إلا ننسى دعم التجار المصراتية بمصر كالحاج الصديق بن إسماعيل الكوافي الذي دفع بابنه، نوري الصديق، إلى التجنيد ليخوض المعارك، ومن ثم يتدرج في صفوف الجيش ليصبح القائد العام للجيش الليبي في العهد الملكي، وقد قابلت الحاج نوري الصديق (2006م) في طرابلس، وأجريت معه لقاء مطولاً، ورأيت فيه من ثقافة شعبية، وعالمية، شعراً، وأدباً، وخلقاً، ما تأسفت به على ما حل بجيشنا هذه الأيام.

عقد الاجتماع بتاريخ 9 أغسطس 1940 في منزل الأمير إدريس السنوسي بحي الزمالك بالقاهرة، وتقرر فيه تشكيل (جيش) لتحرير ليبيا، عُرف بالجيش السنوسي، وضمت الصورة المرفقة أدناه الشخصيات الليبية التالية:(59)

الصف الأول جلوساً:

الأمير إدريس وعن يساره السيد إبراهيم أحمد الشريف السنوسي وخلف

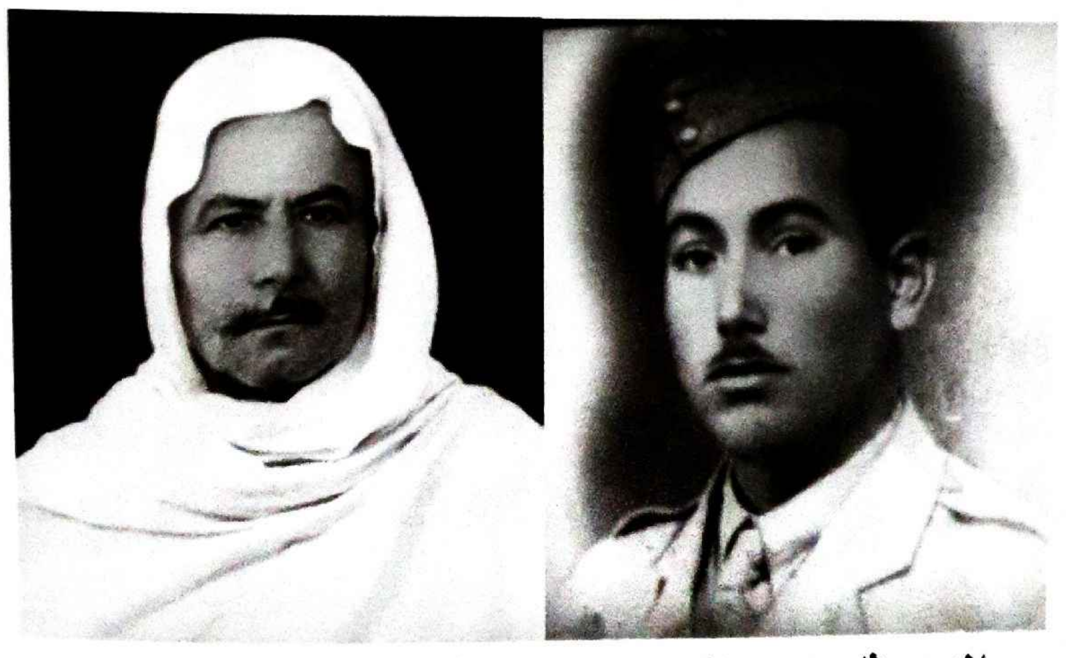
(58) وبعد تحرير ليبيا رجع إلى الوطن وعاش في مصراتة حتى وفاته عام 1962م.

(59) نقلاً عن موقع أخبار ليبيا الالكتروني بتاريخ 30 يونيو 2006م

M&H



رفع العلم في معسكر جيش التحرير الليبي (معسكر الكيلو 9)، قرب القاهرة ، إبان الحرب العالمية الثانية



الملازم ثان نوري الصديق ووالده الحاج الصديق بن اسماعيل

الأمير إدريس واقفاً عبد الحميد عقيلة أحد أعيان قبيلة الجوازي بمصر والشاعر المشهور.

الصف الأول وقوفاً من اليمين :

عمر فائق شنيب، المستر براملي (القوات البريطانية)، طاهر المريض، علي



محمود لاغا، حمد بالعجول الدرسي.

الصف الثاني من اليمين:

اقطيط موسى الحاسي - (؟؟؟؟) - الحاج محمد الروياتي - حسين عبد المالك - عروق بومازق.

الصف الثالث:

عبد الحميد العبار، صالح لطيوش، أحمد الشتيوي السويحلي، عبد الجواد...

الصف الرابع:

محمد سالم قصيبات، محمد اقطيط، ناصر الكزة، غرياني بومفتاح، قدور بريدان، خليل العريضة.

الصف الخامس:

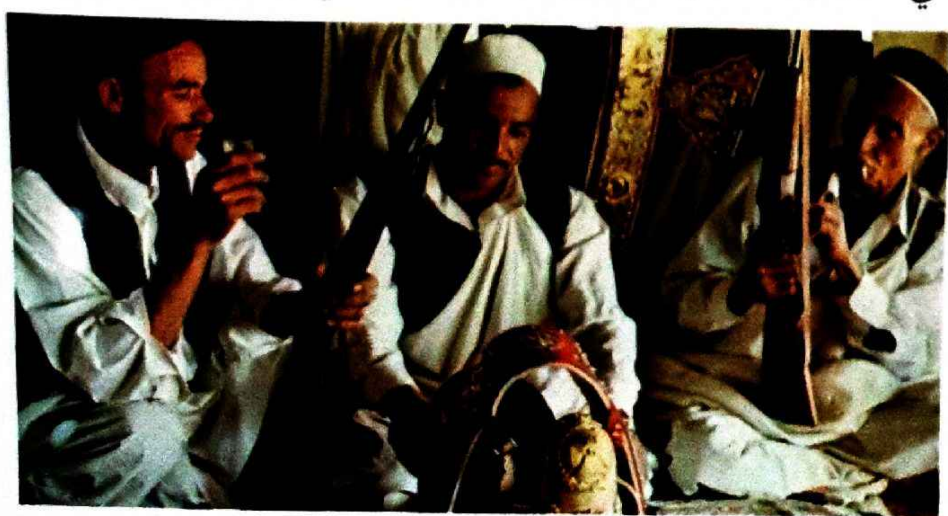
(؟؟؟؟) - علي صالح جعوده، محمد جمال الدين باشاغا - (؟؟؟؟) - عبد

الحميد بومطاري الزوي، سعيد شلبي، محمود بوهدمة، عبدالجليل سيف النصر، الحاج يونس البشاري - (؟؟؟؟) - (؟؟؟؟).

التـجـارة ..

تشتهر مصراتة بالتجارة، والمصراتية بصياغة الذهب، والصناعات التقليدية، كما أن بها ميناء قصر حمد المهم، ومصنع الحديد والفولاذ، وتوجد بها جامعة عصرية حديثة المنشأ. وتجارة المصراتية لم تقتصر على القطر الليبي بل تجاوزت الحدود، فتاجر المصراتية مع مصر وتونس وبر السودان، كما كانت لهم علاقات تجارية مع بعض الممالك الأوربية ك جنوة في إيطاليا، فصدروا لهم الصوف والزيوت، وتجارة الرقيق المشينة أيضاً.

على الرغم من تواصل تجار مصراتة مع زوايا الوطن الأربع ودول الجوار، ألا أنهم لم يتمكنوا من تجارة الصحراء في الجنوب البرقي تماماً كما فعلوا في حواضر الساحل، وهذا مرجعه، وبعد تحقيق، هو نجاح تجار المجابرة وقوافل الزوية من إجدابيا شمالاً مروراً بالواحات حيث جالو معقل المجابرة والكفرة معقل الزوية، حتى بلاد السودان التي تشمل تشاد ودارفور، واشتهرت عوائل مجبرية في التجارة، أذكر منها عائلة بوصفيطة في دارفور على سبيل المثال.



M&H

وهذا القبائل ساعدت في توسيع حدود خارطة الوطن التقليدية إلى العمق الإفريقي في الصحراء الكبرى وصولاً إلى بحيرة تشاد، لتلتحم مع أجزاء من مناطق التبو والطوارق، ما زاد الوطن جمالاً في تعدد الألسن والأعراق والألوان والثقافات، وتعميق علائق الإخوة مع الجوار الجنوبي أسوة بتلك الوشائج على ضفتي النيل بمصر وشط الجريد بتونس.

فالتجارة تجري في دم المصراتية – كما يقولون – والملاحظ أنهم جمعوا ما بين التجارة والعلم والترحال، وما ذكره الصديق الأستاذ علي بوزعكوك فيه شرح وافٍ لهذه الذهنية فيقول: " .. **فطفولتي التي كانت تدور في أنحاء ليبيا بين مصراتة وبنغازي وسرت، كانت تعكس ظروف الحياة الصعبة التي عشناها فقد هاجر والدي (الفقي رمضان أبوزعكوك، الحافظ لكتاب الله وخريج زاوية سيدي أحمد الزروق) من قرية السواطي بضواحي مصراتة سنة 1944م، إلى بنغازي طلباً للرزق بعد أن مرت على الناس في مصراتة الأيام الصعبة والتي كانت تعرف شعبياً بأيام (اللاقبي وسبول العبيد) ... حيث سكنت الأسرة مشاركة في أحد بيوت أقربائنا هناك ... وكان الوالد يعمل مع عمال النظافة ببلدية بنغازي، وكان بعد رجوعه من العمل يعاون الفقي "لامين" إمام جامع نبوس في دروس تحفيظ القرآن ..**"[60]

فقد عُرف عن المصراتية ترابطهم الاجتماعي، والجِدّ في إدارتهم السياسية، والاقتصادية، وسعيهم إلى التعمير والبناء والازدهار معمارياً، ومن لم يستطع منهم ذلك فيفضل الموت، كما كان يقوم قلة من بعض القاصرين عن لقمة العيش بما عرف بـ« اللطم »، حيث يدخل الرجل وزوجته وأولاده، ويلطم الباب عليهم حتى الموت، لما وصل بهم الكبرياء والعفة من مذلة السؤال، وهذه الأنفة، والشعور بالكد والعمل لفت أنظار بعض مؤرخي

(60) في حوار مع خالد المهير نشره موقع ليبيا اليوم بتاريخ ديسمبر 2007م.

ليبيا أمثال المرحوم محمد عبد الرازق مناع الذي ولد وترعرع وتوفي بين أبناء العائلات المصراتية في بنغازي التي عرفت بلعبها الدور البارز في بناء بنغازي، وجعلها عاصمة المنطقة الشرقية وتسيير اقتصادها، فكتب واصفاً إياهم: ... **يبدو أن أهل مصراتة من أنشط المواطنين في الكد والسعي، وهم متفوقون في مجالات التجارة، واستخدام وسائل النقل على الطرق وغير ذلك...**[61]

ولعل الملاحظ أن المصراتية نسبياً يشكلون أقل نسبة في عِداد عمال وموظفي أجهزة الدولة لاعتمادهم على العمل الحر، فالمصراتي لا يعيره شيئاً للعمل من أجل حياة كريمة، سواء كان ذلك في صناعة الخبز أو صياغة الذهب أو سباكة الحديد، لتجارة البيض والرقيق، طالما كان ذلك حلالاً في الشرع والعرف، ولكنهم اشتهروا وبرعوا في التجارة، فبعدما يشتغل المصراتي في بادئ أمره في التحميل "حمال" في الأسواق أو عاملاً في



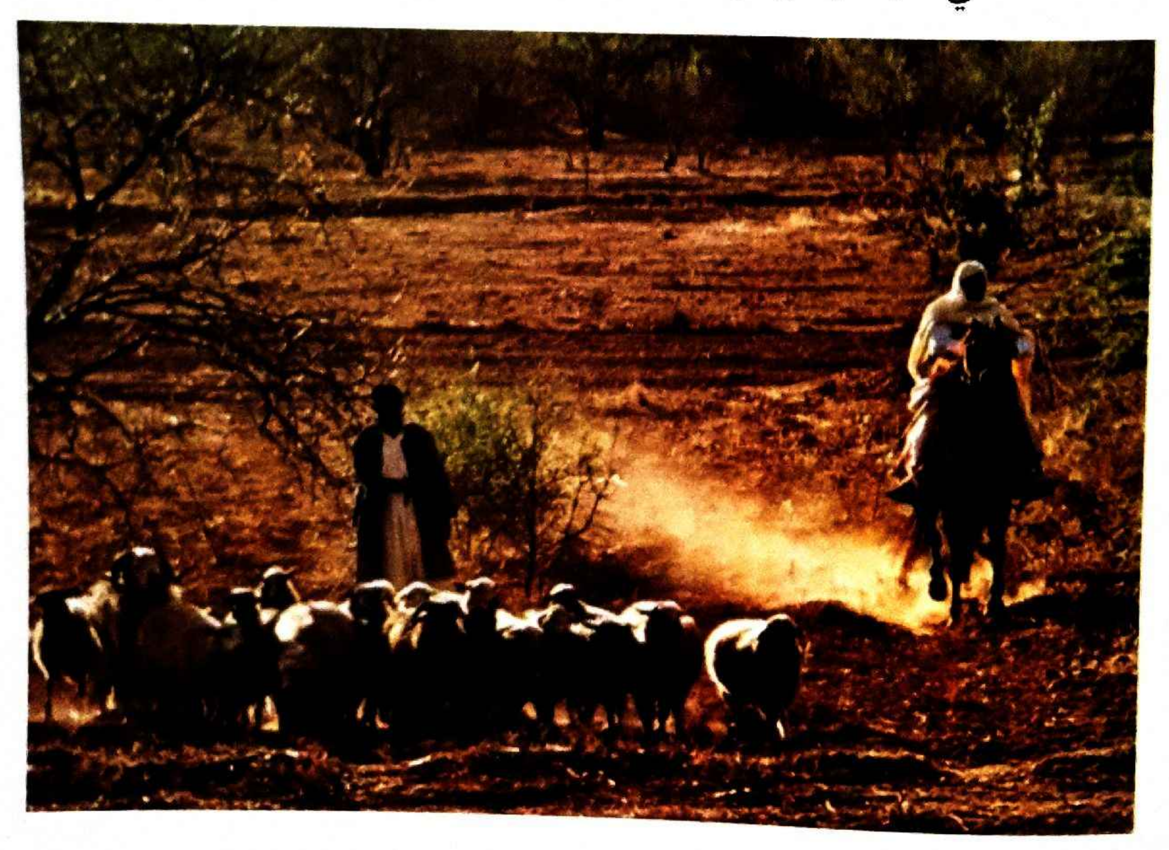
M&H

(61) مناع، محمد عبد الرازق – الأنساب العربية في ليبيا صـ289.

الفلاحة أو كـ "سطاوي" بناء لكي يكون رأس مالاً بسيطاً مطلوباً للتجارة، ومن ثم يفتتح دكاناً يلبي حاجات المستهلكين من سلع يحتاجها المواطن في يومياته، ولا يتحرج المصراتي في الجلوس في دكانه طول النهار يبيع أي شيء كالمأكولات والفحم والحطب والملابس وغيرها، كما برز المصراتية في تجارة النقل والمواصلات، أي العمل في الشاحنات التي تنقل البضائع من مكان إلى أخر، حتى عُرف بينهم قول "بيع البقرة واشري داف"، أي بيع البقرة التي في المزرعة واشتري لك شاحنة "اوتانتة" داف الهولندية.

أما عن الأسواق القديمة التي كانت بمصراتة فقد كتب الأستاذ محمد المنتصر في هذا الصدد:

توسعت أسواق إماطين (وسط مصراتة) وتخصص كل سوق بسلعة محددة، وعرف كل سوق باسم اشتق إما من اسم السلعة التي تباع فيه مثل: سوق العطارة، وفندق الزيت، وسوق اللحم، وفندق الفضة، أو من أسماء العائلات التي شيدتها ومارست بها نشاطها التجاري، وكان أشهرها فندق

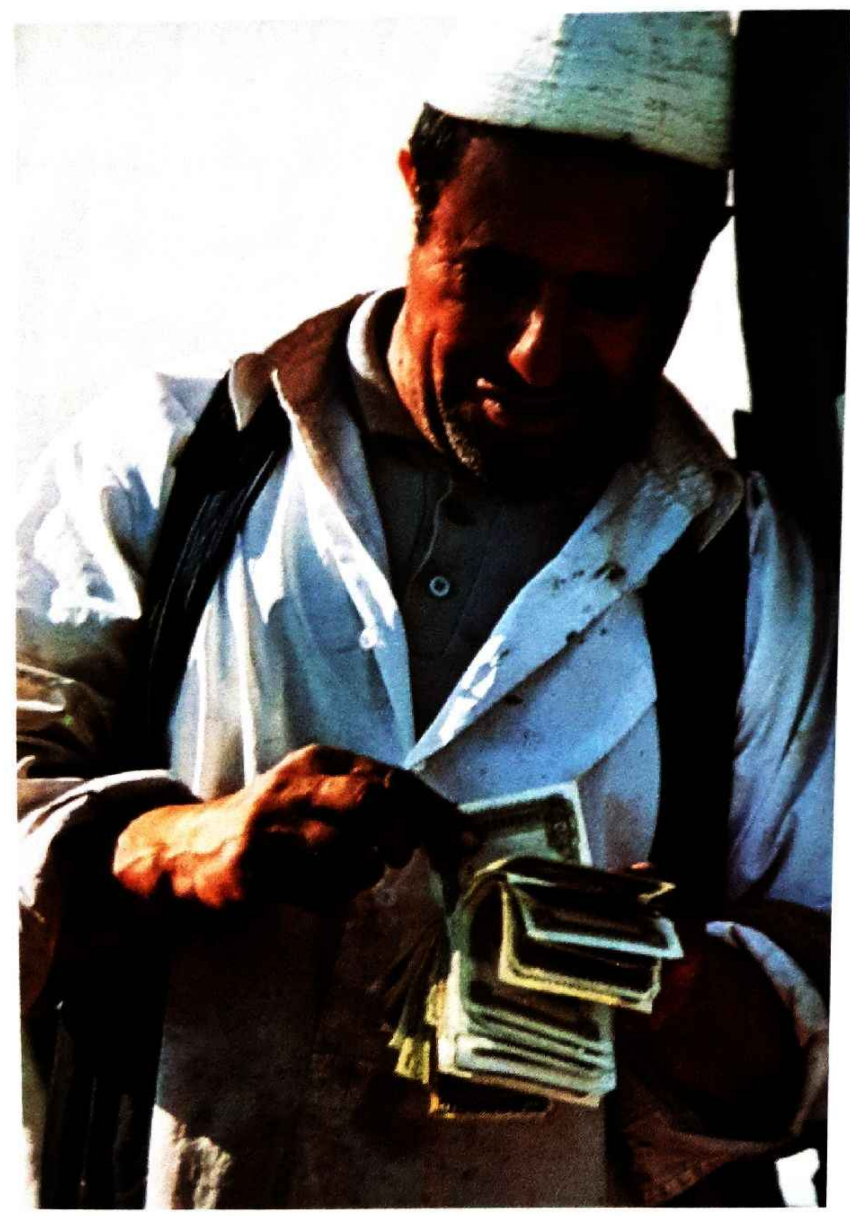


قنابة، كما عرف بعضها بمسميات أخرى مثل فندق الكرمة، كما بني إلى جانب الأسواق والفنادق محلات تجارية بعضها كبيرة (مغايز) وأخرى صغيرة (دكاكين)، بالإضافة إلى الأسواق المفتوحة في الساحات مثل: رحبة السعي (الغنم)، ورحبة الحطب .. وسوق الأحد نسبة إلى يوم الأحد الذي ينعقد فيه، والذي يقدم فيه سكان مصراتة والمناطق المجاورة إلى إماطين لتسوق أو لبيع ما لديهم، وقد وصف الرحالة الحشائشي السوق بعد زيارته له في سنة 1895م. [62]

الخلاصة في جد وكد أهلنا ما ذهب وأكد عليه الشيخ المفتي الطاهر أحمد الزاوي في وصف سكان المدن الساحلية ومنها مصراتة بأنهم: " .. **يشتغلون بفلاحة الأرض وزراعتها، وبتربية الماشية في البادية بواسطة الخدم أو تأجير سكان البادية. وفي الوقت نفسه تجدهم يشتغلون بفلاحة البساتين، ويزرعون فيها جميع أنواع الفواكه والخضر. ولا يشغلهم هذا وذاك عن استعمال ما فضل لديهم من وقت في التجارة ..»**.

فأهل مصراتة أعتاشوا من الأرض ومن الشط ومن الترحال، كما وصفهم الدكتور خشيم، فكان بعضهم يصطاد السمك من الشطين، البحري والشرقي، فيما يعرف مصراتياً بـ التنارة، أي صيد التن، وقد رأيناها، وشريحة ليست بصغيرة عملت بالظهير الزراعي سواء بالدافنية أو طمينة، كما تميز المجتمع المصراتي بالصناعات المحلية التي كادت تجعل منه مجتمعاً مكتف ذاتياً، وهذه الصناعات تقاسمتها قبائل وبيوتات مصراتة كلٌ حسب تخصصه. فعلى سبيل المثال عُرف عن قبيلة الرملة، كما يفصل الدكتور خشيم، صناعة الحبال والقفاف من نبتة الحلفا، بينما

(62) المنتصر، محمد حسن، إماطين مركز مسراتة القديم، نشر في موقع ليبيا جيل – الأربعاء 22 سبتمبر 2004م.



المغاربة امتهنوا صناعة "البلغ"، أي الأحذية بأشكالها وألوانها، والصوالح بـ "العبي" العباءات، والمقاوبة بـ "الكلمان" الفرش أو الكليم المصراتي، والمقاصبة بـ الطواقي و"المعارق"، ويدّر امتازوا بصناعة الحديد، والبلابلة صناع المحاريث، .. وهكذا.

ولهذا عندما هاجر أهلنا من غرب الصحراء إلى مشرقها، حدث التمازج والتكامل بينهما، فإن الحرف الرئيسية التي امتهنها البدو هي الرعي أو قيادة القوافل عبر الصحراء أو الانخراط في سلك الجندية للقتال أو الحملات التأديبية على عكس العائلات الحضرية، وفي مقدمتهم المصراتية، التي كانت تربي أبناءها على العلم والتجارة.

وخير دليل هو رفيقي، الدكتور المفتي، فأصوله من يدّر، ووالده كان تاجراً معروفاً في بنغازي، وجده عالم دين، لذلك لقبوا بالمفتي، وهو رجل طبيب وكاتب، وكتب عن تجارة والده في مؤلفه الرائع "هدرزة في دكان

الشايب"، أما البدوي، كحالة ربعي، لا يحبذون مهنة التجارة ولذلك يحتقرونها، حتى قال أحدهم "**لانا من قرطاسة الكواغط ولانا من مصاصة أقلام الكوبيا**"[63]، فكان البدو لا يحبون الجلوس في مكان واحد لمدة طويلة ينتظرون رزقهم، ولا يحبون المماطلة على غرامات الشاي أو السكر



لما في ذلك، كما يرون، من خدش للمروءة والشهامة والنخوة العربية .. بينما من المفارقات العجيبة .. لا يتأنى في قتل من يشق درباً في زرعه أو يرعى في أرضه بدون إذنه ..

يبقى القول إن البادية تحبذ وتسعى إلى اقتناء السلاح بينما مصراتة تكسب الثروة وكلاهما يسعى لتقاسم السلطة بما يملك من مقدرات. والرائع في هذا وذاك إنه لم تحدث أي مشاحنات أو منازعات بين البادية في

(63) والقصد من هذا المثل البرقاوي هو أن البدو لا يبيعون الشاي والسكر والطماطم المعجون بالغرامات، وهي من شبه الضروريات، في قراطيس تسمي كواغط. وكذلك لا يبعثون أولادهم إلى المدارس حيث يمص التلاميذ اقلام الكوبيا (إيطالية)، ويبلونها لكي تدر حبراً، وهذه دلالة على ضنك العيش لمن تاجر أو أراد التعلم.

برقة والمصراتية، ولم يسجل لنا التاريخ أن يوماً ما اصطف بادية المنطقة في ضفة ضد إخوانهم من عرب مصراتة، ولكن كم من حروب ضروس رأيناها تطحن أبناء البادية بعضهم ببعض من أجل أرض أو دابة، وكم من نزاعات بين عرب مصراتة تقاتلوا فيها على محل أو تجارة .. ولكن لم يلتق الصفان .. البادية والمصراتية .. على شقاق، بل كانا دائماً في أمس الحاجة لبعضهما البعض، البدوي يملك الأرض واليد العاملة، والمصراتي يملك رأس المال والحنكة، ويجمعهما روح المغامرة، فهذا البدوي يصحا، ولا يعرف أين سيمسي، وهذا المصراتي جاء من مصراتة إلى مجاهل برقة ليعيش، فالتقت الذهنيتان المغامرتان، وصنعتا هذا النسيج العجيب، والموزيك الرائع، الذي قليل منا من حاول فك شفرته وفهمه.

الجدير بالذكر أن وجهاء وزعماء القبائل قد حارب الفتنة التي أرادها أصحابها بين سكان بنغازي من حضر وبادية، فقال الشيخ عبد الحميد العبار كلمته الشهيرة في عرب مصراتة: «**اللي مو شاري بزناده**»، أي أن الذي لم يشتري منا أرضاً، فقد ضرب معنا بزناده في الشدة، ونسوا أصحاب الفتن أن الشيخ عبد الحميد أخواله من مصراتة، وإن بيتهم يُعرف فيما بين آل العبار بـ بيت المصراتية.

كذلك الكلام المنسوب للشيخ أحمد عقيلة الكزة حين رد على الفتانين الذين أرادوا بنا سوءً فقال: «**مصراتة خيخي وبنيخي**» .. أي إخواننا، وأبناء إخواننا وأخواتنا، ونسوا أن أمه التي ولدته وربته من آل الكيخيا .. حليمة بنت مصطفى الكيخيا .. تركت وسط المدينة لتعيش في منطقة سلوق، حيث نجوع البادية، استشهد زوجها، المجاهد عقلية الكزة في معركة

الحقيفات عام 1924م، فهاجرت مع أهل دارها، بقيادة المجاهد الكبير عبد السلام الكزة والأخ الأكبر للشهيد عقيلة، فرابطت في بر مصر، وانتظرت العودة، ولكن المنية كانت أسبق إليها، فدفنت في صعيد مصر صابرة محتسبة، مع من مات من آل الكزة يتقدمهم الشيخ عبد السلام نفسه الذي مازال يرقد في مغاغة64 بالصعيد. هذا وقد قام بعض عرب الغرب بالتسمي بأسماء أمهاتهم البدوية والعكس كما هي عادة البادية، فتجد عيت العرفية والشهيبية والشعالية والغرباوية وغيرهم، ما يفسر هذا التواشج.

أيضاً تجد هناك بيت في عائلة الكزة في قبيلة العواقير يحمل اسم جدهم المصراتي، ولا نعرف تحديداً لماذا سمي بالمصراتي، وأنا لا استغرب إذا ما سمي على فقيهاً مصراتياً من باب التيمن، كما كانت تفعل الجدات والأمهات تبركاً، فكثير من أهل بادية برقة من يحمل أسماء المرابطين والصالحين، فتجد الفرجاني والفيتوري والمجدوب والغرياني والقذافي والمدني والمحجوب والسنوسي والزروق وغيرهم.

قُتل المصراتي الأول في حرب زغبة بين صف عرب برقة ضد رزق الله الحسوني، فسمي عليه المصراتي للمرة الثانية عند آل الكزة، ومن الشعر الذي قيل في حرب زغبة وفي المصراتي تحديداً:

M&H

ســـــــلاك يواتي

سلاك دين شاقامه مع المصراتي

ومن بيت المصراتي في آل الكزة المجاهد إبراهيم المصراتي، وكذلك المجاهد عبد الجليل المصراتي صاحب تلك المقولة الشهيرة يوم معركة

(64) مغاغة هي أحد مراكز محافظة المنيا حيث يتركز كثير من قبائل ليبيا التي هاجرت إلى بر مصر كالجوازي.

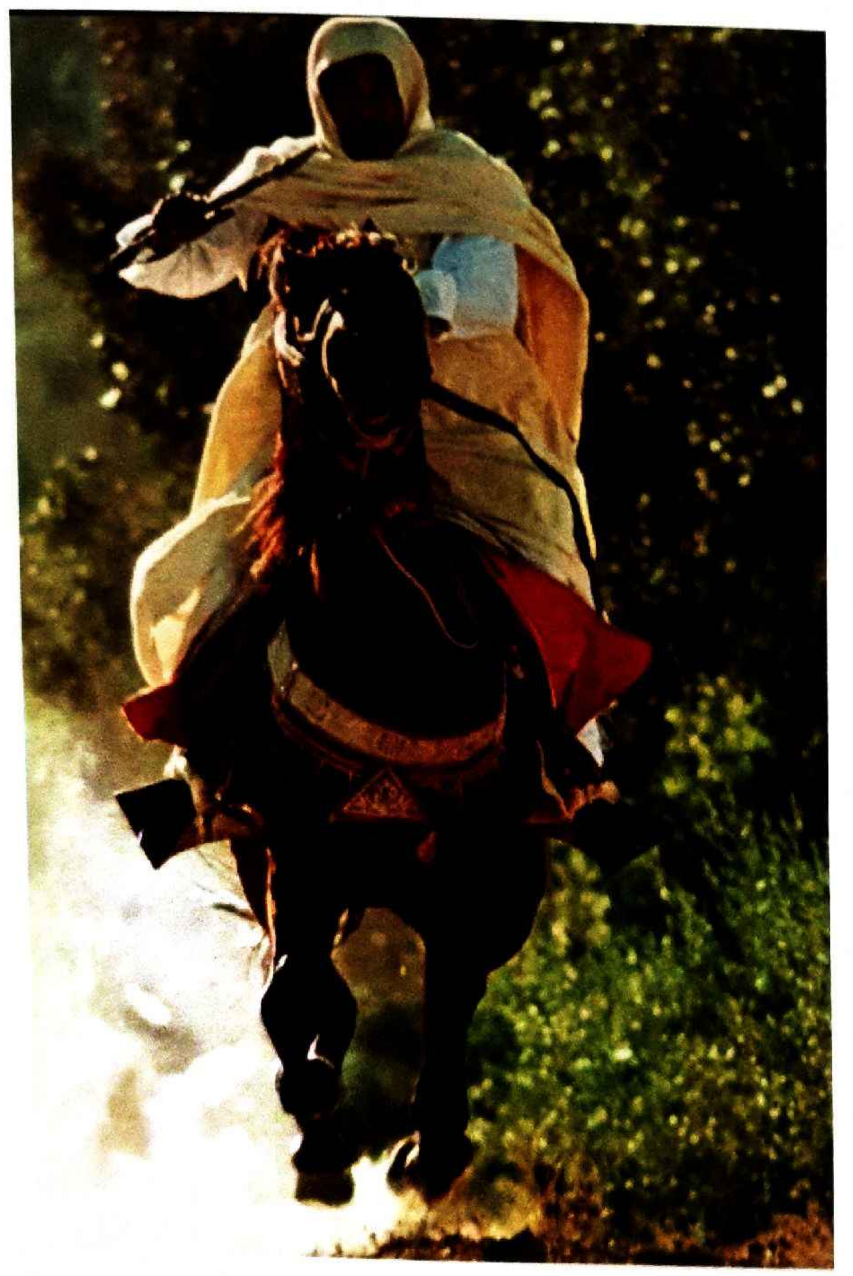


الرحلان الذي قال: العركة بالرحيل .. العركة بالرحيل، وقيل: اركاك يا جمال القوس والعركة بالرحيل.

والرحلان عبارة عن نجوع قررت الرحيل بكل ما تملك، وكانت تلك المعركة عبارة عن المجاهدين يقاتلون، وفي نفس الوقت يرتحلون بأهاليهم وبهائمهم، حيث مناطق آمنة صوب الجنوب في الصحراء، وبعيد عن سلطات الطليان، فالحدث والمعركة اسمهما الرحلان، أما المكان فهو الحقيفات، جنوب شرق بنغازي.

وأكد لي آل الكزة بأن هناك علاقة وطيدة وقديمة جداً بين العواقير وبين عرب مصراتة من سكان بنغازي .. وهي مبنية على صحبة وتداول وتصاهر .. حتى الأستاذ نوري الكيخيا اخبرني عن عمق هذه العلاقة، فذكر لي قصة ظريفة مفادها أن مصراتياً كان يعمل خرازاً في البادية قرب نجوع آل الكزة بمنطقة سلوق، وكان صديقاً لبوشنيف الكزة، وكانت البادية "يميزون" .. أي يتسابقون ..

على خيولهم فيما يُعرف بـ "الميز"، ويبدو أنهما كانا يتبادلا المزاح، فساءل بوشنيف صاحبه المصراتي : إن كان يعرفون "الميز" وركوب الخيل،



فرد عليه صاحبه شعراً:

يا بو شــنيف
هــــازي
ما خبرك جدك
على الجوازي
أيام عقلتك في
بحـر بنغازي
وأيام أبلكم ما
تهلب السباله
لولا ولد
كرغول يا هردازي
رحت بلا لا
سوق ولا دلاله

M&H

المستقبل ..

مستقبل مصراتة والوطن واعد، وستستمر مصراتة في عطائها، لموقعها الاستراتيجي والجغرافي من طرابلس الغالية، عاصمة السياسة والإدارة، ووشائج الدم والهم مع بنغازي، عاصمة الفنون والثقافة، فهناك بوادر وإرهاصات في أن مصراتة ستصبح عاصمة التجارة، وربما الصناعة، وستأتي الأموال وتُنجب الأعمال، والأهم هِمة أبنائها وجِدهم، وكذلك الهجرة العكسية .. أي العودة إلى مصراتة من الشتات الليبي .. كما قال الشاعر:

يبان شوق القلب في نبضاته ويقول لي ارجع لي مصراتة

وكذلك هجرة عقول وأموال مناطق الجوار إليها كعرب ورفلة، سرت، واحات الجفرة، مسلاتة، ترهونة، زليطن، تاورغاء .. إلخ، والمصراتية بعقولهم التجارية، وحاستهم الاجتماعية يكسبون الناس، كما يكسبون الزبائن، ويتعايشون مع الجميع.

كذلك ميناء مصراتة الحر، ومصنع الحديد اللذان يعملان بخبرات ليبية التي جاءت من كل الوطن، وجلبت معها الخير، وخلقت أجواء تجارية وتعدد سكاني رائعين، أما المنطقة الحرة، المرتقبة، ستجعل من الساحل الليبي منطقة عالمية حول مصراتة تتميز في شمال إفريقيا والمتوسط .. وقد وقّعت مذكرة تفاهم مع دولة الإمارات (2007م)، وتحديداً مع إمارة دبي، التي تهدف إلى تطوير وتشغيل منطقة مصراتة الاقتصادية، لتطويرها في شتى المجالات الاقتصادية والاستثمارية والتجارية ...[65] وحتماً إذا ما كُتب لهذه التجربة المضي، والنجاح، وتُركت في أيادي مصراتية أمينة،

---

(65) عن بيان بعنوان «ليبيا تشيد بخطوة حافزاً للاستثمار في مدينة مصراتة» – نشره موقع ليبيا اليوم بتاريخ 5 أكتوبر 2007م.

ستستفيد مصراتة، والوطن، من تجربة الإمارات الاقتصادية الفريدة في الشرق الأوسط .... وتجعل منها جسراً إلى أسواق أوروبا والعالم، ولكن عليهم قبل هذا وذاك بمطار مصراتة البائس البال وفنادقها كقوزالتيك(66) لخرِب.

هذا وقد رأينا كيف تطور الحي الصناعي، وما يُنتج من مصنوعات بلاستيكية، وأطعمة .. إلخ، وقد حصد بعضها جوائز لجودتها، ولكن ما أستطيع تأكيده أن مصراتة هي عاصمة الطباعة في ليبيا، فقد تجولنا بصحبة الحاج محمد الشقماني على بعض مطابع مصراتة، حيث بها ما يزيد عن 14 مطبعة، وعاينا بعضها، فقد استقبلنا الأستاذ بشير بودبوس، صاحب مطبعة الشروق، وأهدانا شروحاً وافية، وبعض الملصقات الجميلة، وكذلك مطبعة الازدهار لصاحبها جمعة سويب الذي كان من أوائل المطابع (1990م)، حيث تُنجز عندهم طباعة المجلات، الكتب، المطويات، الملصقات، وصناديق وعلب الدواء والتمور وغيرها، وقد تفضل علينا الأستاذ جمعة بجولة في المطبعة حيث قابلنا بعض العاملين، ورأينا لديهم أحدث الآليات، واستغرب، وأنا المؤلف الناشر، المجبر أخاك لا بطل، كيف تعطى العقود لطباعة الكتب في الشقيقات مصر وسوريا ولبنان، وعندنا ما ليس عندهم من آليات طباعة، وجودة، وقرب، وبأسعار أرخص، وأفضل من عند الأشقاء، ولكنه سيف الرقابة اللعين يا صاحبي .. الذي جعلنا نلجأ للخارج .. ونستقوي بعالم الإنترنت لكي ننشر ما تجود به قرائحنا الفائضة.

وها أنا بعد هذه الجولة أختم .. بعد سبر أعماق مصراتة .. بقصيدة جميلة للشاعر المصراتي، محمد اميمه، يشدو هياماً وهوىً في مصراتة:

وين يا بعيد إتحن .. ويصعب عليك الود وإملاقاته

---

(66) التيك ومفردها تيكه هم عوائل من مصراتة، لهم تواجد في بنغازي، حيث عرفت منطقة بهم باسم «سواني تيكه».



وين يا بعيد
إتّحن .. والشوق
يكبر يكثرن آهاته
يداوي
اجروحك من ..
يمسح ادموعك
من
إلا هوى
مصراته



****

إن جيت مـ البحر .. تلقى إرمال وتلقى نخلّ
وتلقى منازل دافيه
وان كنك لفيت مـ البرّ .. تلقى الشجَر وتلقى الزهرّ
ايفوح بنسايم صافيه
****

وبين البحَر والبَر .. الزاير يزهي عينه
قرية اتحادي قريه ..يلفَن على خصر المدينه

وديمه المدينة زاهيه .. بعادات قرية صغيره

وارجال ما هي لاهيه .. ليهم اعزوم كبيره

يداوي اجروحك من .. يمسح ادموعك من

إلا هوى مصراته

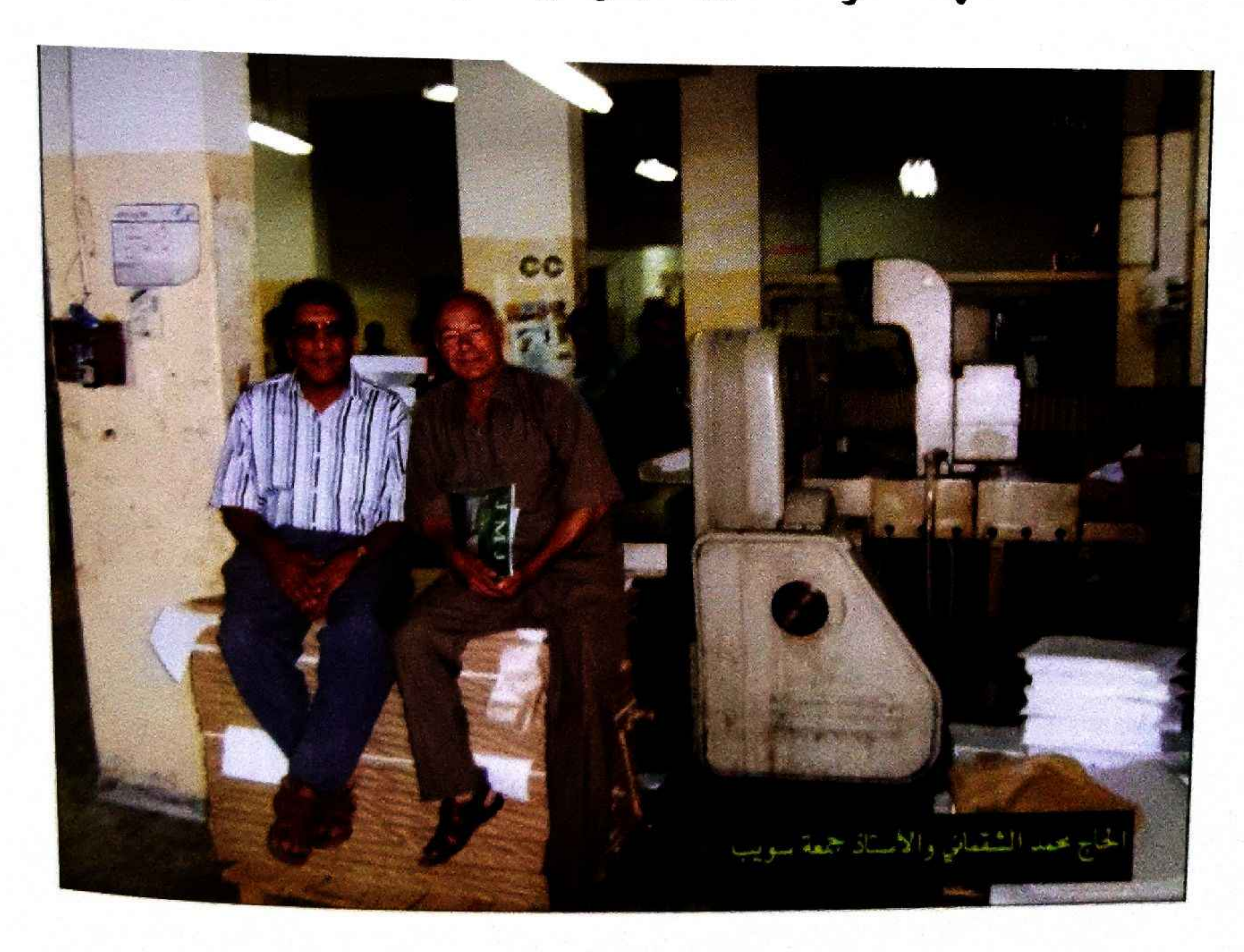
M&H

****

ناسها مصراته .. وين يصبحو .. يا الله يا فتّاح

يسعو وربي ايعينهم

ناسها مصراته .. بيك يفرحو .. وكان جيتهم ترتاح



الحاج محمد الشقماني والأستاذ جمعة سويب

عليك ما يواطو عينهم

****

هي الطيبات أنفاسها .. هيّ الغلا وهمساته

بالله عزة ناسها .. وبيهم زهى مصراته

****

يداوي اجروحك من .. يمسح ادموعك من

إلا هوى مصراته

وفي الختام ها أنا على ضعفي وغربتي أرسو إلى شط الآمان الذي حاذيته في محاولة لسبر أغوار قطعة من هذا الوطن .. أناساً وتاريخاً .. أصالة وعصرنة .. على أمل أن أكون قد اجتهدت في نقل صورة صادقة وأمينة بعيداً عن الإفراط والتفريط.

هذا العمل المتواضع في حجمه .. الكبير في معانيه .. هو تعبيراً عن حبي لهذا الوطن .. جرحي الذي آبى أن يلتئم .. وعليه إذا ما وجد فيه من خلل أو هفوات فهي من صنيع الشيطان، ونفسي المقصرة، وكل ما وصل من استدراك وتصويب وإضافة فجوزي أصحابها خير الجزاء، أما سيول الإطراء والثناء فلله وحده، وغير ذلك اقبله بصدر رحب وبنفس شكورة .. ففي سبيلك يا وطن ترخص المهج ..

هذه كانت مصراتة التي زرتها وكتبت عنها قبل الثورة ... فإلى اللقاء في العمل القادم مع الملحمة التحريرية التي قادها أهل مصراتة وجعلوا من مدينتهم فردوس المقاومة للقضاء على حكم معمر القذافي ... والسلام.

M&H



الدكتور فرج عبد العزيز نجم

مواليد بنغازي – ليبيا .

M&H

متحصل على ماجستير في العلوم الإدارية وماجستير أخر في الدراسات الدبلوماسية، ودكتوراه في العلوم الاجتماعية من لندن .

نشر مجموعة من الكتب (منعت رقابة مطبوعات النظام السابق أغلبها) .وأخرى لازالت تنتظر النشر تتنوع عناوينها من التراجم إلى علم الاجتماع والتاريخ لعل اشهرها :

1 – القبيلة والإسلام والدولة في ليبيا،

2 – حوارات تاريخية،

3 – أبطال وملاحم،

4 – تراجم ومقالات،

5 – قبيسات من تاريخ ليبيا (باللغة الإنجليزية)،

6 – الدراسات العليا في الغرب (باللغة الإنجليزية)،

7 – سير الأجداد بين الابتلاء والغبن والتخوين : الشارف الغرياني نموذجاً .

M&H



M&H

مصراتة ..
ياسُرّة الوطن

كنت ولازلت أهيم في حب هذا الوطن .. لا لشيء إلا للوطن ..

وسيبقى هواي هو الوطن .. ما حييت .. حتى أن حب هذا الوطن قد

حرمني تذوق شهوات الحب وملذات الحياة.

ولكي نستشعر عظمة وروعة هذا الوطن ينبغي لنا أن نقف إعتزازاً

أمام مكوناته .. فكل ما تفسحت في زواياه الأربع المتباعدة كلما زدت

عشقاً وولعاً به

المؤلف


ISBN 978-9959-25-753-6

طرابلس
هاتف : +281.21.4915519
تليفاكس : +281.21.4911955
فاكس : +281.21.4911955
بريد الكتروني: info@culture.ly